محمد حسن بريغش

المرأة المسلمة الداعية

«أحاديث ونماذج»

مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الرابعة

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

مكتبة المنار - الزرقاء
شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي
ت ٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه الموضوعات كتبتها قبل سنوات طويلة، ورغبت في نشرها لتسهم في تربية الفتاة المسلمة، ولتنبه على أهمية الدور الذي ينتظر المرأة المسلمة الداعية.

ولكن ظروف الحياة حالت دون طبعها، ثم أجريت عليها بعض التعديلات والحذف، ونشرتها مسلسلة في مجلة المجتمع الكويتية، وكان وقع هذه الموضوعات على كثير من القراء مشجعاً لي على نشرها، فأعدت مراجعتها، وتنقيحها، وحذفت ما رأيت فيه تكراراً، وأضفت إليها بعض الموضوعات الأخرى التي تمثل نماذج عن التربية الاسلامية التي ينبغي أن تحرص عليها كل أسرة.

ولا أدّعي أنني استطعت توفية الموضوع حقه، بل هو بداية تفتح الباب للغيورين على الاسلام ليكتبوا في الموضوع، ويبدأوا في إعداد الفتاة المسلمة الداعية على أسس منهجية واضحة، لتسهم في تربية الجيل، وقيام المجتمع الاسلامي الجديد.

ولعل هذه المواضيع ستثير عند الشباب شعوراً يدفعهم

إلى العناية بأمر المرأة: أختاً، وزوجة، وبنتاً، عن طريق التربية الواعية، والاختيار الاسلامي، والتعهد الدائم.

ولا يُعفى من هذه المسؤولية أحد، وكلنا مسؤول أمام الله ومطالب بأن يعمل في محيطه لتكون أخته أو زوجته أو بنته امرأة مسلمة بعقيدتها الصلبة، وتبطل ادعاء المدنية الحديثة عن طريق النموذج الطيب، والتطبيق الواعي.

وأسأل الله سبحانه أن يثيبنا على ما عملنا، وأن يسدد خطانا، إنه نعم المولى وهو يتولى الصالحين.

★ ★ ★

تمهيد

لا يزال الحديث عن المرأة المسلمة الداعية بكراً، إذ لا نرى إلا قليلاً من الأحاديث والموضوعات التي تناقش حالة المرأة المسلمةالتي تستطيع حمل المسؤولية في هذا المجتمع، والقيام بدورها كمربية وداعية تتصدى لدعاوى الجاهلية، وتقف في وجه التحديات المعاصرة في زمن امتلأ بالمتناقضات حتى شدَّ أنظار الناس إلى غرائبه، وسلب ألبابهم لمفاجآته، وأطار صوابهم من مثيراته.

ولا أقصد في هذا الموضوع وغيره إعادة الحديث عن حقوق المرأة، ما لها وما عليها، أو الدخول في النقاش التقليدي حول تعليمها واختلاطها، وحريتها وغير هذه الأمور.

ولا أريد ـ أيضاً ـ تعداد المكاسب أو الحقوق التي منحها لها الاسلام، لأن هذه الموضوعات كلها قد استوفت نصيبها من النقاش والجدل، وأطنب في الحديث عنها الكتاب والمدافعون، وبينوا أن الاسلام في نظرته للمرأة ـ مثل غيرها ـ قد أعادها إلى سواء الفطرة الانسانية السليمة التي انحرفت

عنها المرأة كما انحرف عنها الرجل. وبذلك عرفت حقوقها، وقامت بمسؤولياتها.

إن هذه القضايا - كما قلت - قد استوفت حقها من النقاش والاسلام لا يُتهم في هذا أو غيره، وليست صيحات المنكرين والمفترين إلا صورة من صور الحقد المأفون، والكيد الظالم للاسلام والمسلمين، وحري بنا أن لا نقع في الشباك، فنخوض في الجدل العقيم، والنقاش الفارغ، ونمضي الوقت سدى، ونخسر سلاحاً مهماً هو الزمن؛ بالتفاتنا إلى أمور يعبث بها الأعداء.

وهذا الحديث موجه إلى المسلمين الذين يخافون ربهم، ويؤمنون بالله عز وجل رباً قادراً عليماً سميعاً بصيراً، مالك الملك، ورب الناس، وملك الناس وإله الناس.

وإلى الذين يؤمنون بالإسلام عقيدة ومنهجا للحياة، ويحترمون عقولهم لأنهم لا يفتئتون على الحق والواقع، ويقدرون نعم الله عليهم، ولا يشكون بمنهج الله عز وجل، ولا يرتضون غيره طريقاً ودستوراً، وعقيدة ورسالة، وهم يسعون إلى تطبيقه في أنفسهم وفي بيوتهم، وفي مجتمعهم، ملتمسين الطريق الصحيح مستفيدين من كل نصيحة، مستسهلين الصعب في ابتغاء مرضاة الله عز وجل، يتسابقون للتضحيات للفوز بثوابه العظيم.

★ ★ ★

إلى هؤلاء أتوجه بهذا الحديث لكي يـؤثـروا العمـل على الكلام، ويدافعوا عن إيمانهم بالتطبيـق، ويظهـروا اسلامهـم بالقدوة والعمل، وبهذا يحققون النصر على كل الأباطيل.

ضَرُورَة الوَعي

قبل أن نطرح عدداً من الأسئلة والموضوعات حول المرأة المسلمة الداعية، لا بد لنا من توضيح الصورة التي نتحدث عنها.

فهل المقصود من هذا زيادة عدد الفتيات المسلمات اللواتي يتمسكن بشعار الاسلام، ويحافظن على الفرائض والأخلاق فقط؟

إن هذا نتيجة طبيعية لما ندعو له، بل هو شرط ضروري للوصول إلى الصورة المطلوبة في تربية الفتاة المسلمة الداعية، لأن في تحقيق هذا الغرض يزداد عدد المسلمات، وتتوسع رقعة الدعوة.

لذا لا بد من وعي المسلمة التي تطمح لمجتمع تتحمل فيه المرأة مسؤولياتها مع الرجل.

لأن الوعي يفتح أمام الفتاة منافذ كثيرة تفهم من خلالها حقائق الحياة دون تزييف أو تشويه أو تضخيم.

والوعي يفتح أمام الفتاة منافذ البصر والبصيرة، وحوافز العمل والتحدي ولهذا تكون أقدر على الثبات في مجال الصراع والإغراء.

والوعي ـ قبل هـذا وذاك ـ يجعـل المسلمـة تفهـم معنـى الإيمان، وحقائق الاسلام فتربط عملهـا بمرضـاة الله، وتقـوّم سلوكها على هدي شريعة الله، وتهذب عواطفها حتى لا تندفع في حب الفتنة ومظاهر الفساد.

★ ★ ★

فالوعي ميزة مهمة للـرجـل والمرأة على السـواء، ولكننـا نفتقد إلى الوسيلة التي تعين على ذلك.

وهـي ميـزة تنمـو بنمـو الإيمان وعمقــه في نفس المرأة والرجل، وتزداد بزيـادة يقظـة الوجـدان الذي يـراقـب الله سبحانه، ويظل ينظر إلى يوم الدين ويحسب حساب الآخرة.

وكذلك فهي تتوسع مع توسع المعرفة والتجربة، المعرفة لحقائق المجتمع الذي يدور من حولنا، وفهم التجارب التي مر بها العلماء والصادقون قبلنا، وكذلك التجارب التي مرت بنا.

فاذا استطاعت المرأة أن تنظر إلى الأمور نظرة شمولية، وبشكل يتوافق مع التصور الاسلامي للحياة، فإنها تزداد وعياً بهذه الحياة وفهماً للأشيـاء.

وإذا استطاعت أن تتعرف إلى مسؤوليتها الحقيقية في بناء

المجتمع الإسلامي وإلى ترتيب الأولويات والمهمات في حياتها فإنها تعمق وعيها، وتتفتح بصيرتها.

ولهذا فإن إبعاد الجهل، والفهم القاصر، والنظرة الجزئية، والعاطفية المفرطة، والكلف بالمظاهر، من شروط الوعي ومن دواعيه.

★ ★ ★

وما دام الوعي يشمل كل هذا، فلن يتوفر للمسلمة بالسرعة المطلوبة، ولا بد من التربية المتأنية، والدراسة المستمرة للماضي والحاضر، واستثمار النتائج لتفتيح الأذهان وشحذ الهمم.

ولا بد قبل ذلك كله من إعادة النظر في موروثاتنا القديمة عن الإسلام، وبمفاهيمنا التي جاءتنا من هنا وهناك.

والعودة إلى كتاب الله سبحانه وتعالى أولاً، بالقراءة الواعية والدرس العميق والفهم البصير، والتدبر؛ يفتح أكبر سبيل لتفتح الوعي في النفس، وحين تنفتح النفس لمعاني القرآن الكريم تصبح كالأرض الخصبة التي تستعد لاستقبال الغرس، وتنبت أنضر النبات، وتثمر أطيب الثمار.

★ ★ ★

فإذا ما تحقق الوعي عند المرأة المسلمة أمكن أن تعطي وتثمر:

ـ إنها حينذاك تفهم إسلامها بشكله الواضح المتكامل، دون تجزئة أو تفتيت ودون أن تأخذ جانبا وتدع آخر.

ـ وتفهم معنى سنة رسول الله ﷺ، فتحث الخطى لمعرفتها، وتطبيقها في انواع من السلوك، وألوان من الحياة.

ـ وتفهم معنى تمسكها بدينها ـ ولا سيما في هذا العصر بالذات ـ رغم قساوة الظروف، فتحيا واثقة بالله، مطمئنة إلى رضوانه مهما اشتد البلاء.

ـ وتستطيع أن تقهر الشك، وتطرده من نفسها، وتتخلص من التردد والحيرة، وتعرف أنها فائزة عند الله ما دامت تتمسك بهذا الدين فلا تخشى أحداً.

ـ وتحقق لنفسها نوعاً من الدفاع الذاتي ضد هجمات المدنية الحديثة التي ترفع رايات الجنس، وتسلك طريق الإثارة لإفساد الجيل، وضرب الأخلاق والقضاء على العقيدة.

ـ ويدفعها الوعي إلى ممارسة حياة اسلامية طاهرة، فتظهر أمام بنات جنسها بصورة واقعية رائعة متميزة بهذه السمة، متزنة، سوية، لا تحارب الفطرة الانسانية التي خلقها الله سبحانه وتعالى، ولا تعاني القلق الذي أشاعته المدنية.

ـ وهي تتفاعل مع المجتمع بشكل إيجابي، فتدعو بسلوكها وتطبيقها، وكونها قدوة ومثلا واقعياً، وتدعو بأسلوب حسن كل من تلمح على محياهن البراءة والاستواء وتوضح حقائق

الحياة كما تعلمته من كتاب الله وسنة رسوله .

ـ وكذلك تحقق التأثير في المجتمع عـن طـريـق السلـوك والفكر والتطبيق العملي والموعظة الحسنـة والبينـة الواضحـة ، وشعارها الواضح .

ـ وهي تخرج من دائرة التقليد المهيمن ، لما يبتدعه شياطين العصر مـن انحرافـات بـاسم الأزيـاء والتجـديـد ، والحداثـة والعصرية ، وتمتلك حريتها الحقيقية في ان تحيا كأنثى مكرمة ، بعيدة عن النظرات المستهينة والمواقف المبتذلة .

إن هذه الصورة الاسلامية للمرأة المسلمة الواعية التي تتمثل في عقيدتها وسلوكها وتعاملها ، وثباتها ، توفر لها سلاحا مؤثراً ، سلاحاً يترك آثاره خيراً وبركة وهدى على الفطرة البشرية ، ويعالج أمراض المجتمع بايجابية وواقعية وبساطة .

وهذه الصورة ستحدد للمرأة المسلمـة دورهـا وواجبهـا ، فتفهم مشكلات العصر ، وتعامل مع الواقع من منطلق اسلامي واضح ونظيف .

إنها رد ايجابي قاتل على دعاوى المدنية المادية : مدنية الجنس في هذا العصر ، ونقض لأسس الجاهلية المنهارة ، وبناء راسخ لمجتمع الاسلام .

★ ★ ★

لهذا كانت حاجتنا إلى المرأة المسلمة الواعية ضرورة ملحة ،

لأن بناء المجتمع المسلم يحتاج إلى طراز يتسلح بالإيمان والوعي، ويعرف الهدف ويسعى إليه بثقة وبصيرة، من اجل ذلك لا بد من الإسهام في تحديد الطريق للمرأة المسلمة الواعية.

مَعَ الوَاقِع

أين تقع المرأة المسلمة اليوم؟

ما هو الدور الذي تقوم به في هذا المجتمع؟

هل هي مهيأة لأن تتحمل صدمات الواقع المزلزلة؟

هل هي مهيأة لأن تأخذ دورها الحقيقي في المجتمع؟

ما هي الأخطار التي تهددها وتمنعها من تأدية هذا الدور؟

وأخيراً ما هو السبيل الذي يمكنها من تأدية واجبها في حلبة الصراع؟

هذه الأسئلة تفرض نفسها حين نبدأ بتصوير الواقع والتماس سبيل الخلاص والعلاج.

لا بد لنا من التماس الأجوبة لعلها تساهم بتحديد المشكلة ورسم معالم الخطى الأولى في طريق طويل.

فالمرأة المسلمة ـ اليوم ـ تشدها كثير من التيارات المؤثرة في سلوكها ومشاعرها وتفكيرها، ويمكننا ملاحظة الصور التالية:

١ ـ المرأة المقلدة:

وهي التي لم تنشأ النشأة الاسلامية الصحيحة، ولم تكن تربيتها تربية إسلامية واعية، لتدرك حقائق الحياة، وتتعرف إلى صورة الإيمان الصحيح والسلوك المستقيم، وإنما كانت تربيتها تربية تقليدية تقوم على احترام العادات والتقاليد ومراعاة البيئة التي تعيش بها وكما يقول الحديث الشريف «فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»[١].

ولهذا نرى أثر هذه البيئة واضحة في معتقدات هذه المرأة وتفكيرها وسلوكها أكثر من أثر الإسلام الذي بقي كالآنية الثمينة التي توضع على الرفوف، وتحفظ بعيداً عن متناول الأيدي.

ولا يعني هذا أنها كانت في أجواء تعادي الإسلام وترفضه بل كثيراً ما تكون الأسرة «محافظة» تحمل الإسلام أخلاقاً وعادات وتقاليد» وتحافظ عليه محافظتها على الكنز الموروث دون إدراك لأسراره وجواهره، وواجباتها نحوه، وبقي الإسلام عند هؤلاء في الشعارات الظاهرية، وبعض العبادات التي تؤدى، واختفى أثره في النفوس، أو صورته وهو يقيم حياة الفرد وحياة الأسرة وحياة المجتمع على منهجه القويم، ويؤدي دور التوعية والتوجيه لكل فرد من هذه الأسرة.

فالمرأة ـ هنا ـ عندما تؤدي بعض الفرائض، وتقوم ببعض

---

(١) جزء من حديث شريف «كل مولود يولد على الفطرة...»

الشعائر تخضع في ذلك لأسر العادة، ورغبة الوالدين، وتقاليد الأسرة أكثر من أدائها لما فرض عليها إيماناً بالله، وشعوراً بالواجب، وانطلاقاً من الالتزام بشرع الله عز وجل.

فهي ابتداء لا تؤدي ما تقوم به انطلاقاً من كونه واجباً بل لأنها اعتادت ذلك.

وهذا يؤدي إلى بعض التناقضات في حياة المرأة، ولا سيما عندما تواجه مشكلات العصر، ومستحدثات المدنية الحديثة، أو أمراً مهماً في حياتها كالزواج، أو اختيار شيء ما يؤثر على مصلحتها أو مستقبلها.

وعلى الأغلب، فان مثل هذه المرأة ستقبل أو ترفض الزوج مثلا أو غير ذلك من الأمور وفقاً لمواضعات المجتمع الذي تعيش فيه، وطبقاً لتقاليد الأسرة، ولن يكون رائدها في ذلك نظرة الإسلام وتعاليمه، ومرضاة الله عز وجل، والخوف من غضبه، وهذا ما يقع به المجتمع الحديث في العالم الإسلامي.

وإذا واجهت مستحدثات العصر ومغرياته، ومظاهره التي تتنافى مع الإسلام تقف حائرة أو عاجزة عن مناقشة الجديد وفقاً لمفهوم الإسلام وعقيدته، لأنها لم تعرفه معرفة عقيدة ومنهج، بل معرفة عادة وتقليد، فتأخذ الجديد أو ترفضه على أساس مقاييس الأسرة وتقاليدها، أو لإرضاء الأب والأم والمجتمع الذي يحيط بها، ولو لم تجد مبرراً مقنعاً لما تتصرفه في اختيارها أو رفضها.

وكثيراً ما نجد صوراً محزنة لهذا النوع من النساء، الذي يسقط أمام المغريات ولا سيما عندما تنفتـح الدنيـا ويكثر المال وتغرق في الرفاه، إنها تنقلب الى امرأة شرهة همها ان تتظاهر بالمرأة العصرية، في تبرجها، واخذها من كل جديد، بل يصل الأمر إلى التفاخر بالمعاصي والوقوع في النفاق، فبينما تكون في بيتها ووسط بيئتها في مظهر خارجي يدل على احترام الدين والخلق، تنقلب الى أقبح الصور من التبرج والسفور واقتراف المعاصي حالما تبتعد عن بيتها وبيئتها. والخطير في هذا الأمر انها تظن بنفسها ويخدعها غيرها بـأنها مـا زالت تحمـل شعـار الإسلام عقيدة وسلوكاً، والأمثلة الواقعية كثيرة عن هذا النوع من النساء.

وهذا ناتج عن قلة في وعيها وخبرتها، لعدم تربيتها التربية الإسلاميـة الصحيحـة، القـائمة على إيمان مستبصر، وعقيـدة واضحة.

هذا النوع من النساء لا يمكن أن يبقى صامداً بشعاراته الإسلامية، ومظاهـره التقليـديـة أمـام سيـل العصر الجارف بمفاجآته وخبائثه وغرائبه، وستظل المرأة عرضة للانجراف في تيار العصر مهما ابتعـد بها عـن فطـرتها كـأنثـى، وشريعتهـا الربانية.

ويصبح الأمر واضحاً عندما تنتقل هذه المرأة ـ مع بقايا تقاليدها الإسلامية ـ إلى بيت الزوجية الجديد، لترافق الزوج

وتتعاطف مع الشاب العصري، الذي يريدها ـ أحياناً ـ أن تكون صورة لما تعوَّد أن يراه في الشارع والملاهي هنا وهناك في هذا العالم، وكلاهما ـ آنئذٍ ـ في أوج عاطفته المتأججة وثورة شهواته الجنسية، وهنا تكون الطامة إن لم تتعهدها رحمة الله.

إنها ستفاجأ بعالم جديد، يفتح كوامن الغريزة الأنثوية التي تهوى المظاهر، وتعشق الثناء، وتحب الانطلاق، فتستجيب لأنها لا تملك رصيداً من العقيدة الواعية ـ وتنهار أمام الفكر الجديد وتتخلى عن تقاليدها وعاداتها لأنها تعارضت مع رغبات زوجها وحياتها الجديدة.

وإذا تمسكت المرأة ببعض الفرائض الواجبة، فإن ذلك لن يؤهلها لتمثيل الصورة الصحيحة للمسلمة التي تملك مؤهلات البناء والحركة ضمن إسلامها في المجتمع الجديد.

ولهذا فان مثل هذه الصورة تسقط من حساب المرأة المسلمة الداعية، التي يحتاجها هذا المجتمع في صورة من صور الدفاع السلبي أو الإيجابي وكثيراً ما نجد أمثال هذا النوع ينهار ـ رغم موروثاتها ـ وتألف الجديد مهما ابتعد بها عن جادة الصواب، وتستسيغ الظهور المتبرج والزينة المحرمة ما دام ينقلها إلى المعاصرة والجدة وبريق التقدم الخادع.

★ ★ ★

٢ ـ المرأة القلقة:

وهناك نوع آخر من نساء المسلمين، هذا النوع يعيش في صراع وقلق حاد بين مستحدثات العصر ومغرياته، وأساليبه في الدعاية والتأثير، وإبرازه لكل ما هو حديث؛ وبين ما عرفته عن إسلامها، وفطرة الكون كله، الذي يدعـوهـا إلى القيـام بدورها كأنثى والمحافظة على طبيعتها ونظرتها كمسلمة لا تحتكم إلا إلى منهج الله سبحانه وتعالى.

ومهما كانت فكرة هذا النوع عـن الإسلام فـانها ستعـاني كثيراً إذا لم تمتلك إيماناً واعياً، ولم تفهم دينها فهماً صحيحاً، لأنها سترى نفسها ـ في الواقع ـ وهي أنثى خلف الستار في هذا العصر، وكأنها منبوذة من مجتمعها خارجة عن الإطار الذي يتحرك فيه الناس، ومهددة بالنسيان من اهتمام الرجال لأنها موسومة بالتخلف، إذ لا تلتفت إليها أنظار المعجبين، وقد لا تسمع كلمات الثناء والإطراء التي يطرب لها ـ عادة ـ النساء.

وليس هذا لأنها أقل من غيرها في مميزاتها، ولكن لأن العصر ملأ عيون الشباب وأفكارهم ببريق الأضواء والألوان والتبرج المحرم، فبقيت المرأة المسلمة المصونة بعيدة عن هذا الإطار، منبوذة في هذا المجتمع.

والمرأة مهما كانت بعيدة عن الأجواء العاطفية الخادعة، لا

تستطيع أن تتناسى فطرة الانوثة لديها ولا سيما حين ترى مثيلاتها أو من هن أدنى منها يقفزن إلى مواضع الاهتمام والإعجاب، ويلفتن أنظار الشباب لظهورهن بصورة من الصور الحديثة.

وسبب القلق يأتي من أمور كثيرة، منها: ان المسلمة التي بُهرت بالأضواء والأزياء، مع ضعف في الاعتقاد والوعي، لا تستطيع أن تجد مستراحاً نفسياً لها، بعدما غاب عن نظرها معنى الإيمان الحقيقي الذي يربط الدنيا بالآخرة، ويجعل للحياة التي نحياها هنا امتداداً أوسع، ومجالاً أرحب، وحياة أرغد وعذاباً أشد في الآخرة، فلأن هذه المرأة لم تستطع ان تمد بصرها إلى ما بعد سنواتها القليلة، أضحت في قلق، لأنها تخشى أن يفوتها قطار الزمن، وتتخلف عن مثيلاتها.

ومع فقدان الإيمان الواعي، تبدأ بمعاناة مرحلة من الصراع الداخلي والضغوط النفسية المؤلمة ـ للتناقض بين ما تحمل وما تعيش ـ ، وقد يؤدي ذلك إلى انحراف إثر ضعف، فتخرج عن حشمتها، وتنساق مع الصورة الحديثة إذا لم تجد بيئة صالحة واعية تحميها من هذا التيار.

٣ ـ المسلمة الغربية:

وهذه الصورة هي صورة المرأة المسلمة التي تنشأ في جو لا يعرف الإسلام، ولا يتمسك بأهدابه سلوكاً أو شعاراً، مما

يدفع بهذه المرأة التي فهمت الإسلام بالدراسة الواعية، والنظرة الصائبة والتمييز العادل، إلى الخروج عن تقاليد أسرتها المنحرفة، وتتخطى العادات المستحكمة، وتستمر في فهم إسلامها، والتعرف على ما يطلبه منها دينها، ولو أدى ذلك إلى صعاب تعترضها، ومتاعب تحيط بها، وقد تتعرض للهزء والسخرية من مجتمعها وبنات جنسها والاستغراب والاستهجان من الذين يركضون وراء التبرج والزينة والظهور.

هذه المرأة ـ وهي تتمسك بدينها كالقابضة على جمرة من النار ـ لا بد لها من الصبر والثقة بالله عز وجل، والاطمئنان إلى رحمته حتى لا تقع في ردود الأفعال والنزق والعصبية التي تخرجها عن شخصية المسلمة المتوازنة، وكذلك لا بد لها من زيادة الوعي، والمعرفة، والاطلاع والرعاية ممن يخافون الله عز وجل.

ولا يمنع أن توجد مثل هذه المرأة أيضاً في الأجواء التقليدية التي تحافظ على مظاهر إسلامية دون وعي، فتنشأ هذه الفتاة، وتبدأ في الوعي والتفكير حتى تغدو صورة مستقيمة واعية.

وبقاء هذه المرأة على استقامتها رهن بإرادة الله أولاً، وبوجود الجو الذي يشجعها ويرعاها ويقوي من عزمها، وإلا فإن الجاهليات تعمل على إفسادها فتنهار وتخسر نفسها، او تحاربها بقسوة.

وتضطرها الى الانزواء وردود الفعل، فتخسر ميدانها

الأساسي وهو المجتمع، وتغدو في عزلة تؤثر على أعصابها ونفسيتها.

ومثل هذه المرأة بحاجة الى شحنات روحية مستمرة مع زيادة التوعية، وديمومة الرعاية والتعاون مع أخوات أخريات حتى لا تقع في هذا الشراك. وهي أيضاً تحتاج الى تذكير مستمر بأن غربتها التي تعيش فيها، علامة صحوة واستقامة، وبشير نصر ومثابة. وأنها كلما وعت مسؤولياتها في التمسك الواعي بالإسلام. والتقيد الصحيح بآدابه وأخلاقه، والصبر الجميل على ظلامات المجتمع وهجماته، والصلة الحكيمة بالناس، كلما دعت ذلك واستمرت عليه اقترب منها الفرج، وعذب عندها الإيمان.

وليس خافياً ما يتبعه أعداء الاسلام والمشككون في إثارة الشبهات حول بعض المسائل الاسلامية، والفترات التاريخية التي لا يستطيع المسلم المبتدىء تفسيرها أو الرد عليها، لإثارة الشكوك ودفع المرأة إلى الإحراج والعزلة.

وهذا يؤكد ضرورة الإعداد المسبق المدروس للفتاة المسلمة، وبناء عقيدتها وفكرها وسلوكها بناءً سليماً، لتتسلح بالتصور الصحيح، والوعي الحقيقي، والاستقامة في السلوك والتعامل، فيجنبها الانزلاق أولاً، ويعطيها القدرة على مجابهة الغارة الحاقدة من أعداء الإسلام والمتاجرين بالمرأة في سبيل أهدافهم الشيطانية.

٤ ـ المرأة العصرية:

وهذه المرأة هي التي جعلت العصر إماماً لها، وغاية تسعى لاستحواذها، وترى كل ما يعيق تمتعها بما في هذا العصر جموداً وتقليداً ورجعية، لهذا تركض وراء كل جديد، وتحرص على كل مظهر، وتخالف بذلك شرع الله عز وجل ولا تكترث بأوامره سبحانه وتعالى، ترى في الغرب كعبة لها، وفي الأزياء والمغريات هدفاً ومطمحاً.

ولسنا بحاجة إلى الحديث عن هذا النوع الكثير، فهو يملأ الشوارع وبيوت الأزياء والملاهي وكل مكان للإغراء واللهو.

والمرأة هذه أضحت سلعة تباع وتشرى، أقنعتها الشياطين أنها في مظهرها المتبرج، ومجافاتها لشرع الله ستكون ذات شأن، ولكنها فشلت في ذلك، لأنها ظلت ألعوبة في يد الرجل العاصي، ليشبع شهواته ويتلذذ بعرض مفاتنها، ثم إذا ذوت وذبلت، وجفت نضارتها، ألقيت كالقمامة، لأنها لم تترك لنفسها كرامة إنسانية، وقبلت أن تكون إغراءً وفتنة فقط، وتركت شرع الله عز وجل الذي جعل منها مخلوقة كريمة مصانة وهي فتاة وزوجة وأم وجدة.

٥ ـ المرأة المسلمة الواعية:

ومع هذا كله، لا يخلو المجتمع من وجود الفتاة المسلمة الواعية، التي هيأت لها عناية الله سبحانه وتعالى تربية صالحة،

وتنشئة واعية، في بيئة إسلامية لم ترث الدين تقليداً، وإنما فهمته رسالة، وآمنت به منهجاً من عند الله، وحملته أمانة لا تفرط بها لأنها الحياة الحقيقية في الدنيا والآخرة. لهذا عاشت هذه الفتاة في أجواء هذا البيت الطاهر، وعرفت الاسلام عقيدة وفكراً وسلوكاً وواقعاً يومياً.

وهي بهذه النشأة تستطيع أن تخرج لمواجهة المجتمع، وحمل الدعوة إلى بنات جنسها إذا ما حصلت على ثقافة كافية، واطلاع معقول، يسمح لها بالنضج من ناحية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على صعاب الطريق وأشواك السعي لمرضاة الله عز وجل من ناحية أخرى.

وهذا النوع قد يواجه ضغوطاً مختلفة، من الأسرة أحياناً، ومن الأقارب والمجتمع، وتتحمل قساوة الجفاء، والتجريح والنقد والتسفيه والإغراء.

وهي كذلك تواجه المغريات الوافدة، مع المدنية الحديثة، وتكابد منها آلاماً كثيرة لتصدها، وتدفع عنها شرورها.

إنها تقع بين نيران تحيط بها، وكلها تتوق لإحراق هذه الجوهرة المقدسة المتقدة في قلبها.

وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ إذ قال: « بدأ الاسلام غريباً،

وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء»[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشرِبها نُكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»[2].

★ ★ ★

---

(١) صحيح مسلم والحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه.
(٢) صحيح مسلم.

خطوات الطريق

لقد رأينا أن المرأة المسلمة مشتتة الفكر، موزعة القلب، مرهقة الأعصاب، وهي تواجه المجتمع المثير دون أن يكون لديها ذلك الرصيد الواعي من الإيمان، والفكر المستنير، والمنهج الواضح؛ لكي تقطع الطريق وتجتاز المخاطر التي تحيط بها.

إنها ترى كل مظاهر الإثارة والتبرج، وتعرف أن في أكثر هذه المظاهر خروجاً على آداب الإسلام وتعاليمه، وهنا تقع في الحرج والضيق والقلق لأنها ـ وهي واحدة من النساء ـ لا تستطيع أن تتخلى عن عقيدتها، وربما تحاول أن تأخذ أشياء وتدع أشياء مما أفرزته المدنية الخبيثة.

ونراها ترنو بعين كليلة إلى الجديد الزاهي الذي يخلب اللب، ويلفت الأسماع والأبصار، وترنو بعين أخرى نحو تراث قديم تربّت عليه؛ وما زال لجواهره آثار وتأثير في الفكر والسلوك.

إن المرأة المسلمة مشتتة بين هاتين النظرتين، تعاني من الحيرة والقلق. وتود لو أنها تلتئم في شخصية موحدة، ولكن المؤثرات قوية إلى درجة لا تسمح للكثيرات بأن يأخذن طريقاً واضحاً، بل يجمعن من الأضداد ما يجعلهن صورة تحمل كل ألوان التمزق والتشويه.

فكيف يمكن للمرأة المسلمة في هذه الحالة أن تقوم بدورها، وتحمل أمانة الدعوة مع الرجل المسلم؟

إن الاستقامة على طريق الحق، والإخلاص لله في العقيدة والسلوك، أساس ضروري في بناء الشخصية الإسلامية للمرأة.

الاستقامة: تخلق الشخصية الواثقة المتأملة، المطمئنة، وتجعلها قدوة ومثلاً ينمو باتجاه الخير، ويستزيد من التجارب.

والوضوح: ينير الدرب للواتي تبلغ آذانهن ومشاعرهن وقلوبهن نداءات الدعوة، فيرى الناس بهن نموذجاً واضحاً، ويكون ذلك أدعى للاقتداء والاهتداء.

والمسلمون الصادقون، ودعاة الإسلام الذين يخافون الله عز وجل، وينظرون إلى الحياة من خلال التصور الإسلامي الواضح، عليهم أن يتحملوا مسؤولية البحث عن المخرج الصحيح، والطريق الواضح للمرأة المسلمة في هذا العصر الشائك. وهم مطالبون بإيقاف المنحنى الهابط لأوضاع المرأة،

والتشتت الواضح في أفكارها ومشاعرها، والتمزق الدامي في شخصيتها وعواطفها.

★ ★ ★

وللوصول إلى هذه الغاية أضع هـذه الملاحظـات التي لا تتعدى أن تكون اقتراحات يمكن تعديلها أو زيادتها ممن يهمه هذا الأمر:

١ - لا بد أن نكوّن في البيوت مناخاً إسلامياً واعياً، يحتكم فيه الرجل والمرأة إلى الله في كل شيء، ويخضعون في تعاملهم وسلوكهم لمنهج الله في كل صغيرة وكبيرة، ابتداء من الدخول إلى عتبة البيت حتى الخروج منه، ومن الفجر الباكر الى المأوى المتأخر.

إننا بحاجة إلى العادات والتقاليد التي تتحكم بحياتنا وبيوتنا، ونزنها بميزان الإسلام؛ حتى نرفض ما يأباه الإسلام ونقبل ما يقبله، مع تحكيم آداب الإسلام وأخلاقه في تصرفاتنا.

وإننا بحاجة إلى مراقبة مصادر التأثير على الصغار والكبار من إذاعة وصحافة وتلفاز وكتب، ونكون واعين حتى لا نترك هؤلاء لأيدي الشياطين الذين يفسدون بيوتنا، ويدخلون جرثومة الفساد إلى عقول الصغار وقلوبهم باسم العلم والفن والترفيه وأشياء اخرى. وينبغي أن نعرف أثر ذلك على

النشء، وأن تَرْكَنا لهذه المؤثرات دون مراقبة إنما يعني إلقاء فلذات الأكباد إلى النيران: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ «كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهوِّدانه أو يمجّسانه أو ينصرِّانه». ودعوى الترفيه والتسلية والصغر، و... و... لا يبرر هذا القتل للجيل، والإفساد للأبناء. والفتاة أكثر تأثراً بكل هذه المؤثرات.

وإننا بحاجة إلى تحكيم الشريعة الواضحة في كل أمور المرأة، وضبط حياتها بوعي وحزم، دون تعصب ولا تفريط، دون تهاون أو تبرير.

وعندما تتمكن من إحياء الإسلام واقعاً في بيوتنا، وجعل أنفسنا مسلمين حقاً، ونحول المرأة إلى مسلمة تفكر من خلال الإسلام، عندها تغدو بيوتنا محاضن إسلامية تربي النشء وتخرج الأبطال، والأمهات الطاهرات.

إننا بحاجة إلى القدوة الحسنة، والمثل الطيب في البيت، وتحويل أجوائه إلى أجواء إسلامية صحيحة لكي يرضع الطفل ألباناً إسلامية، وسلوكاً إسلامياً، ويشب وهو يقتنع بأن كل ما عدا الإسلام شذوذ عن الفطرة وضياع للإنسان.

هذا المناخ هو الروح التي تدب في أوصال المسلمة: صغيرة وكبيرة، وتصبح العقيدة وعياً وسلوكاً، لا تقليداً ومظهراً

وقشوراً، وبذلك نغلق كل المنافذ الجاهلية كي لا تدخل بيوتنا وتفسد عقائدنا وأذواقنا وحياتنا.

وهذا المناخ يهيء للفتاة المسلمة ـ نفسياً وعملياً ـ فهماً صحيحاً للإسلام ووعياً لحقائق الحياة، وإدراكاً لمخاطر الشذوذ والانحراف.

وقبل أن نوفر هذا المناخ لا نستطيع أن نخطو أية خطوة في طريق الإعداد الواعي للفتاة المسلمة الداعية.

أما إذا تركنا الأسرة تدخلها مظاهر المدنية المعاصرة، وتتهاون في اتباع شرع الله وضبط سلوكها، عندها نخسر الأساس الضروري لحفظ المرأة المسلمة.

وإهمال البيوت حتى تأخذ من الجاهلية بيد، ومن الإسلام باليد الأخرى؛ لا يعقبه إلا تهديم الشخصية المسلمة واضطرابها وتفسخها.

واذا كانت البيوت الإسلامية بحاجة إلى هذا المناخ فإن بيوت الدعاة، وحملة الإسلام أكثر حاجة لهذا المناخ الإسلامي الصحيح في بيوتهم.

ولعل الكثيرين يغفلون هذا الجانب حتى يصبح ما بينهم وبين بيوتهم هوة سحيقة، فالمرأة لا ترى من زوجها الذي يحمل الدعوة، ويصرف اهتمامه ووقته لها إلا الإهمال والتعب، فإذا

وضعنا في اعتبارنا أن هذه الزوجة امرأة عادية، لم تنشأ نشأة إسلامية واعية، ولم تحمل الإسلام دعوة وغاية، نرى الأثر السيء الذي ينشأ من مثل هـذه الأوضـاع، فـالمرأة تضجـر، وتحس بالظلم والإهمال، وتشكـو التقصير والقهـر، وتـرى في حياتها اضطراباً لا تعرف له مبرراً.

والزوج لا يجد وقتاً لأهله، ولا يملك فراغاً لمعالجة بيته، فإذا ما أحس بمرارة ما يلقاه من الزوجة لجأ إلى ردود الفعل أحياناً لشعـوره بـأنها لا تقـدر ظـروفـه ولا تحب أن يعمـل للإسلام، أو يلجأ إلى «المسكنات» الآنية، فيعطيهـم بعـض الاهتمام، دون أن يدري أن مثل هذه الحلول لن تزيد المشكلة إلا تعقيداً. وتحولها إلى مطالب مستمرة من الزوجة، وتنازلات أو تضايقات من الزوج.

ومثل هذه الحالات تحتاج إلى علاج حاسم، واهتمام صحيح، وتحتاج إلى رعاية واعية، رعاية تضـع الزوجـة في مـوضعهـا الإسلامي الصحيح، الذي يجعلها تتفاعل بصدق مع زوجها، وينعكس هذا التفاعل على سلوكها الشخصي، وحرصها على عبادتها وخوفها من الله، واهتمامها الصحيح بـرعـايـة أبنـائها وبيتها، والمشاركة المخلصة في الدعوة بطريقين متلازمين أولهما توفير الجو المريح لزوجها ليؤدي واجبه نحو ربه في عمله ودعوته.

ومساهمتها الواعية في الدعوة بما يتناسب مع أمكانياتها ومجالاتها المختلفة.

٢ ـ بعد هذه الخطوة ينبغي إيجاد منهج فكري متدرج يساهم في بناء شخصية المرأة المسلمة الواعية بحيث يتصف بالتكامل والشمول والواقعية، لكي يناسب فطرة المرأة، ويلبي حاجاتها لمواجهة الحياة وتحديات العصر، شريطة أن يتوافق مع مراحل الحياة الفكرية والنفسية لها، ويلبي مقتضيات الواقع المحيط بها أيضاً.

فإذا تفتحت عينا الفتاة على مبادىء الإسلام ومفاهيمه المبسطة الواضحة وتاريخه الموثوق، وتعاليمه العملية، تمسكت به وهي مطمئنة واثقة فخورة.

ولكي يكون المنهج ملبياً لفطرة المرأة وحاجاتها لا بد من تحديد الأمور الأساسية التي تحتاجها لتكوين فكرها الإسلامي، مع تصنيف الضروريات في سلّم متدرج، حتى لا يقع المنهج في منزلق الارتجال وردود الأفعال، والحاجات العاجلة، والبعد عن الواقع، ولا يتناسى مراحل النضج والمراهقة، وحاجات المرأة النفسية والفكرية والعملية.

٣ ـ إضافة للمنهج الفكري لا بد من منهج للسلوك المتنامي المستقيم الذي يتفق مع شريعة الله في الأمور البسيطة

والمهمة على السواء، بحيث يتلاءم مع الفكرة ويصدر عنها، وينسجم مع الحياة الإسلامية الصحيحة.

٤ ـ ولا بد من غرس اليقظة المستمرة لمراقبة الله عز وجل والخوف من الحساب حتى ينمو هذا الشعور مع الفتاة، ويغدو شوقاً لنعيم الله، وحباً لمرضاته، وخوفاً من عقابه، وتتذوق من خلاله الأنس والطمأنينة مع الحق والوقوف عند شرعه، والقلق والخوف من معصيته.

وهذا الشعور حارس أمين لها يصون إيمانها، ويقوّم سلوكها، ويدفعها للتضحية والعمل، ويوقظ لديها حب الخير والتمسك بالحق، وسيصبح مهمازاً ينبه عند الخطر، وخلقاً يصون، وسياجاً يحرس من الانحراف، ثم يتطور إلى وعي وورع وتقوى، وقربى من الله عز وجل والسعي لمرضاته، وهو الذي يميز الإيمان الحي عن غيره، ويقلب أسس الشخصية المسلمة ويحافظ على مستويات السلوك الرفيع، ويحمي من الإثم والسقوط.

★ ★ ★

المعوّقات ومَراحِل الإعداد

مما سبق رأينا أن المرأة المسلمة تقف في وضع متخلف عن دورها الحقيقي في هذا المجتمع، لأننا نفترض أن تكون للرجل الداعية شقه الآخر، تعينه على مرضاة الله، وتكون له سكينة ومودة، وتهيء له جواً من الأنس والطمأنينة لكي يعوض عما يلقاه من عنت وأذى في مودة أهله، وأنسهم وتشجيعهم. ولنا في ذلك من القدوة الصالحة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حين وقفت مع رسول الله ﷺ وواسته بمالها ونفسها، وشجعته وشدت من أزره، وكان لها من الأثر ما لم يكن للرجال العظماء حتى استحقت من الله أن تكون من خير نساء العالمين.

فالمرأة المسلمة ليست كالمرأة الجاهلية، لا يهمها إلا المظهر والأناقة والزينة والسهرات والأزياء، إنما عليها أن تمارس الدعوة مع زوجها سلوكاً وعملاً وجهاداً في البيت وبين جميع الناس من بنات جنسها، وتقف معه على ثغر يناسب طبيعتها ويحقق هدف الدعوة أيضاً، ولكن هذا الأمر لم يكن!.

ومع أن الرجل المسلم ما زال بعيداً عن الصورة المطلوبة، مقصراً متخلفاً؛ فإنه قد تقدم عن المرأة أشواطاً بعيدة، حتى باتت تفصله عنها هوة عميقة يصعب عليها اجتيازها، لذلك فإن المشاكل المتعددة تنشأ من هذا الاختلاف في الإعداد والمستوى وفهم الواجب.

وهي إذن بحاجة إلى إعداد مدروس لكي تنهض بالأعباء الملقاة عليها، بل لتنفذ أولاً من الهوة الجاهلية التي سقطت فيها وأصبحت معلقة بين إسلامها وبين الجاهلية.

والواقع يشهد أن المرأة المسلمة ما زالت مهملة، لأن مناهج التعليم وضعت لتبعدها عن الإسلام أو لتحشو فكرها بالعلوم المادية، والمستحدثات الجديدة، وتصوير المدنية الحديثة والعلم بصورة المنقذ للبشرية ليزيد إيمانها بالعلم كمنهج ودين، وبالغرب كقائد ومرشد، وبالتالي يضعف إيمانها بالإسلام.

إن المنتجات الصناعية، والمستحدثات الجديدة ذات أثر خلاب وإغراء كبير، وهذا الذي تفعله في هذه الأجيال.

وفي الوقت نفسه نشهد ألوان النشاط والإعداد للمرأة الجاهلية لتلعب دوراً خطيراً، وتزين للرجل والمرأة مجافاة شرع الله باسم الفن والعلم والتقدم. واستخدمت في سبيل كل ألوان التأثير: اللون والصورة، والصوت والحيل النفسية والدراسات التربوية والعلم ووسائل الإعلام.

وقد أحاط الجاهليون المرأة الفاسدة بكثير من الاهتمام والرعاية بطريقتهم المثيرة، واستغلوا كل طاقاتهم لتحقيق أغراضهم.

ولا أريد زج المسلمة في هذا الأتون الفاجر الذي يشترك فيه غيرها من نسوة العصر، مع العلم بأنها تعيش مرحلة من القلق المثير، وكأنها على شفا جرف هار؛ وإنما أريد أن تبدأ في إعداد نفسها لتتمكن من الصمود - أولاً - في معركة الإغراءات العصرية وافتراءات الفلسفات الحديثة، ثم تمتلك القدرة للرد على كل هذا بثبات ووعي، مع حمل مهمة الدعوة بين بنات عصرها، وللجيل القادم.

وفي سبيل ذلك لا بد من تهيئة الوسائل الكفيلة بالوصول إلى هذه المرحلة، وتهيئة الظروف المناسبة لبناء الشخصية الجديدة للمرأة المسلمة الواعية.

مرحلتان

لا بد أن نميز مرحلتين بارزتين في حياة المرأة عندما نريد إعدادها لتتسلح بالإيمان والوعي:

١ - مرحلة ما قبل الزواج.

٢ - مرحلة ما بعد الزواج.

ولكل مرحلة طبيعتها ومميزاتها وظروفها:

١ - مرحلة ما قبل الزواج:

تقضي فيها الفتاة أخصب سنوات عمرها التي تتيح لها أخذ الصورة الواقعية عن الحياة التي تريد أن تمارسها، والفكرة التي تحملها، فهي فترة التربية والدراسة والاطلاع والإعداد لحمل المسؤولية.

في هذه المرحلة يكون لديها تطلّع وتنبه ويقظة، مع طموح وأمل، وعندها من الطاقة والحيوية ما يمكنها من تمثل كثير من الأشياء والأفكار، مع قدرتها على اقتباس نماذج من الحياة ذاتها، وفهم ما تدرسه عن النساء في تاريخنا.

ولنا قدوة في ذلك عائشة رضي الله عنها حيث خطبها رسول الله ﷺ وهي ابنة ست، وتزوجها وهي ابنة تسع، وعاشت معه حتى توفاه الله وهي ابنة ثمان عشرة سنة، وكلها سنوات الطاقة الشابة، وحين وجدت التربية والقدوة، والمثل الطيب، والإعداد الصحيح، غدت المرأة العالمة، التقية، القدوة والمثل، حتى ما كان يسألها صحابي أو تابعي عن شيء إلا ويجد عندها علم في ذلك[1].

---

(١) يراجع كتاب (عائشة أم المؤمنين، وعالمة نساء الإسلام) للأستاذ الشيخ عبد الحميد طهماز - نشر دار القلم بدمشق ضمن سلسلة «أعلام المسلمين».

فالفتاة في هذه المرحلة تحتاج إلى الرعاية الواعية، والتربية الإسلامية الحقيقية، لترسيخ مفهوم العقيدة، وغرس صالح العادات والتربية على أحسن الأخلاق.

وهذا يدلنا على خطورة البيت، ويتبين لنا دوره وواجبه ومهماته الثقيلة؛ إن أطفالنا من البنين والبنات، الذين يحتاجون إلى هذه الرعاية كثيراً ما يتركون بلا رعاية صحيحة أو تربية مستقيمة؛ لأننا في بيوتنا نختلف كثيراً عنا في مجتمعنا، في بيوتنا نؤثر التساهل في أمور الإسلام، ونؤثر الشفقة حتى لا نجرح مشاعر الطفلة والطفل، فنترك واجباتنا، ونتصرف شتى التصرفات التي لا ندرك عاقبتها عند أطفالنا، ثم نتباكى في الغد لمصير أولادنا المنحرفين، وشذوذ بناتنا عن جادة الحشمة والأدب. إنني أرى في بيوتنا عجباً، في الوقت الذي ندعي فيه أننا أبناء دعوة وحملة رسالة، وأننا مجاهدون في سبيل الله بالكلمة الحسنة، والقدوة الطيبة، والجهر بالحق واستنكار الباطل، والدعوة إلى الله!!

في بيوتنا لا نهتم بالزوجة، ولا نراعي مشاعرها، ولا نتعهدها بشيء، ولا نتنبه للطفل الذي ينظر بفطرته إلى ما حوله: بعيونه وسمعه وإحساسه، ويصغي لما نقول، ويتنبه لما نفعل، فيسمع منا ما لا ينبغي أن يسمع، ويرى منا ألوان التصرفات والغضب والظلم أحياناً، والسوء في بعض المرات،

ويتلقى تربية لا تتفق مع الآداب الإسلامية، وبعدها نتمنى أن يكون الأبناء دعاة، والبنات داعيات، فكيف يكون ذلك؟!!

بل ندع الأبناء تربيهم المدارس كما تهوى بحسناتها وسيئاتها، ولا نراقب ما يأخذون ويتعلمون، ثم نتركهم إلى وسائل التأثير المختلفة: السينما والصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز، وهي لا تعلّم إلا منكر القول وسيء العمل إلا ما ندر.

فمن منا جعل لبيته شيئاً من وقته؟ لا ليرفه عن الزوجة المتعبة المسكينة أو يخفف من أعباء الحياة وقساوتها على الأطفال الصغار، وإنما ليعيش مع بيته حياة إيمانية صحيحة، يتدارس مع أولاده وأهل بيته القرآن في جو من الألفة والمحبة والعطف والتأسي برسول الله ﷺ، ويتفهم معهم الإسلام، ويعلمهم آدابه الرفيعة؟؟

ومن منا وضع نصب عينيه أن يكون الزوج القدوة، والأب القدوة والأخ القدوة، حتى تطمئن زوجته وتستريح وتنصاع للحق وتؤثر مرضاة الله مقتدية بزوجها، ويرى الطفل واجباته نحو ربه ومجتمعه لأنه آمن بذلك عن طريق القدوة والتربية، لا عن طريق الأمر والنهي؟

لا أظن ذلك واقعاً إلا في القليل النادر، ولعل الطيبين يظنون أن أقصى ما عليهم أن يفسحوا من وقتهم قسطاً للترفيه

وإسعاد الأطفال في نزهة أو رحلة أو غير ذلك.

إن الحياة الإسلامية في بيوتنا ضرورية ضرورة الإسلام ذاته، وإن ممارستها تخفف عنا وعن أسرنا أعباء كثيرة من الحياة، لأن الأطفال والزوجة يشعرون دوماً أن بينهم وبين الحياة هوة يحاولون ردمها. والسبب في ذلك بعدنا عن الحياة الإسلامية الواقعية وكذلك نحن بعيدون عن فهم حقيقة الحياة، وبعيدون عن الشعور بأننا مسؤولون مع أهلينا أمام الله، وأن الحياة تحتاج إلى طاقاتنا في إعداد أنفسنا، وإصلاح أسرنا ومن يلوذ بنا، مع الدعوة إلى الله مسؤولون أمام الله، والحياة تحتاج إلى طاقاتهم في إعداد أنفسهم، وإصلاح من يلوذ بهم والدعوة إلى الله.

ونتيجة لغياب هذا الدور المهم، يبقى النساء والأطفال بعيدين عن الإسلام ينظرون إلى المجتمع بكل ما فيه من عادات وتقاليد وإغراءات وأزياء نظر المعجب والمحروم؛ وقد يتساءلون: لماذا نحرم من كل هذا؟

وإن سد الخلل مهمة عاجلة، لأن الجاهلية استطاعت أن تصل إلى حصوننا ذاتها، وتدخل إلى قلوب أبنائنا، وتفسد علينا كل ما حولنا.

ولننظر إلى حياة رسولنا إمام المربين، وسيد الدعاة والمجاهدين ﷺ، كيف كان مع أحفاده وبقية أطفال المسلمين. ألم تتحول بيوته الى مدارس تربوية، ومدارس الدعاة والعلماء؟

لنقرأ سيرة الحسن، والحسين وعبدالله بن الزبير، وعبدالله ابن عباس وزيد بن حارثة، وأسامة بن زيد ثم عـروة بن الزبير وغيرهم، لنرى تأثير هذه البيوت الإسلامية التي لقنت الأبناء مبادىء الإيمان والإسلام علماً وسلوكاً، وخرجتهم علماء أتقياء عاملين وأبطالاً فرساناً مجاهدين.

لماذا لا نجعل لبيوتنا قسطاً من اهتمامنا الواعي لكي نعد برنامجاً للزوجة فيه العلم، وفيه العمـل، فيـه التـوعيـة، وفيـه التربية؟

ولماذا لا نخصص أوقاتاً مناسبة لأطفالنا لنربيهم وننصحهم، ولنضرب لهم القدوة والمثل الطيب؟

وهل يصح منا أن تكون بيوتنا عبئاً ثقيلاً وعقبة في طريقنا بدلاً من أن تكون ردءاً، وقلاعاً لنا، فضلاً عن كونها سكناً وراحة.

ولماذا تحولت مسألة البيوت إلى تحقيق مطـالـب ورغبـات للزوجة والأولاد، هذه الرغبات أكثرها ناتج من انصرافهم عن الحياة الإيمانية وبعدهم عن الإسلام والدعوة الإسلامية؟

ولماذا تحولت اهتماماتنـا في البيـوت إلى تقـديم الكثير مـن الملهيات العصرية.

أليس هذا انهزام داخلي؟

والفتاة المسلمة في هذه المرحلة ـ قبل زواجها ـ تقع في دائرة الأسرة، وتحت مسؤوليتها، ولا يمكن أن تترك لتربية المدرسة، أو تأثير الدعاية، أو لوسوسات الشياطين.

ولا بد ان نلاحظ أمراً مهماً في مناهج المدارس، أو أسلوب الرعاية والترفيه.

فمناهج المدارس والتعليم تقوم ـ في أكثرها ـ على تصور مادي للحياة.

لذلك نجد أنها تنظر للمرأة نظرتها للرجل، فتعلم المرأة والرجل شيئاً واحداً دون مراعاة للفروق الفطرية، لأنها تريد ان تخدع المرأة ابتداءاً وأن التسليم بالفروق يعني ظلم المرأة، وسلبها لبعض حقوقها، وتخلفها عن الرجل. وتريد أيضا أن تبتز المرأة وتسخرها لأغراضها الخبيثة، إذ عندما تتلقى تعليماً مماثلاً للرجل، تجعلها ـ وبشكل آلي ـ تطالب بأن تحتل مجالات الرجال، مهما تعارضت مع فطرتها.

وهنا ينشأ الصراع.

ولو أن تعليم المرأة قام على أسس حقيقية واقعية يتناسب مع فطرتها منذ البدء لما نشأ مثل هذا التناقض. ولما أحست المرأة بالظلم والتفرقة بل لرأت أنها أعدت لتحتل مجالات لا يستطيعها الرجل ولا يتناسب معها فهي ذات اختصاص، كما

انه ذو اختصاص.

وهكذا فإن ترك بناتنا للتربية المدرسية وحدها أو لتأثير الدعاية والإعلام خطر كبير.

لقد بنى رسول الله ﷺ مجتمع المسلمين بناءً متكاملاً. كان فيه الرجل المؤمن الداعية، والمرأة الصادقة المسلمة. فكما كان أبو بكر صادقاً قوياً في نصرته للحق وإيمانه بهذه الرسالة، كذلك كانت خديجة رضي الله عنها.

وكما أدى علي دوراً في الهجرة، وبات في فراش رسول الله ﷺ والأخطار تحيط به، كذلك باتت أسماء تنقل لرسول الله ﷺ ولأبيها الزاد والأخبار، وتكتم عنهما أمام الطاغية أبي جهل رغم بطشه وقسوته.

وكما جاء الأنصار من الرجال يبايعون رسول الله ﷺ كذلك أتت نَسِيبة ومن معها من النساء لتحضر بيعة العقبة في ذلك الجو العصيب، وسط مطاردة الكفار ورقابة قريش.

كان الإسلام يبني الفرد والأسرة والمجتمع، وهكذا نضمن للفتاة المسلمة أول مرحلة للتربية والمناخ الصحي لتنشئة إسلامية واعية.

★ ★ ★

٢ - مرحلة ما بعد الزواج:

- المرأة المسلمة والزواج: إن مرحلة الزواج مرحلة مهمة في حياة الإنسان عامة، والمسلم خاصة. وهي تشكل منعطفاً خطيراً في حياة الرجل والمرأة، وكثيراً ما كانت هذه المرحلة بداية للانحراف أو الاعتكاف، أو مرحلة الانطلاق والاستقامة ومع هذا فإن أمر الزواج لم يأخذ إطاره الصحيح وأهميته الحقيقية عند المسلمين، ولم ينظر إليه بالمنظار الإسلامي الصحيح.

والمرأة في هذه المرحلة تختلف عنها في المرحلة السابقة، فبعد أن كانت في وسط اجتماعي معين، تنتقل بعد زواجها إلى وسط آخر يختلف عن الوسط الأول، وستجد نفسها بعد حين مرتبطة بشريك لها، يقاسمها الهموم والآمال كما أنه - أحياناً - يتصرف في بعض شؤونها تصرف السيد المطاع، أو المحبوب الآسر وهي في كل الحالات تجد ان روابط جديدة: نفسية واجتماعية ومادية تنشأ وتقوى، حتى تفوق على كل الروابط الأخرى، لهذا فهي مضطرة لأن تغير من حياتها - رضيت أم كرهت - بشكل يتناسب مع حياتها الجديدة.

وإن نتائج المرحلة السابقة في تربية الفتاة وإعدادها ستظهر آثارها هنا، في تكوين هذه المرحلة واستمرارها، ونجاحها، او عكس ذلك.

وكلما كانت التربية السابقة ناجحة، وكلما كـانـت الفتـاة واعية، ناضجة الفكر، صادقة الإيمان كلما استطاعت ان تنجح في حياتها الجديدة، وتقيمها على اساس متين.

وهنا لا بد من فهم الزواج فهماً إسلامياً صحيحاً، فهو إلى جانب طبيعته المادية، له طبيعة روحية ونفسية ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً﴾ (النساء ـ ١ ـ)

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ «الروم ٢١».

من هاتين الآيتين ندرك حقيقة الزواج، وصورته الإسلامية وأثره الإجتماعي.

فالزوجة من نفس الزوج، ومنهما تكون الذرية، ولن تكون الحياة صالحة إلا بالتقوى، التقوى التي تجعل المسلم ـ رجلاً وامرأة ـ لا يهمه إلا مرضاة الله عز وجل، ولا يخاف إلا من ربه عز وجل، ولهذا فهو لا يأبه لأمر يخالف هذا النهج، ولا يتردد في أمر يحقق هذا الهدف. وكذلك فإن النساء شقائق

الرجال، كما يقول ﷺ خلقت المرأة من نفس الرجل، وهي زوجه التي يسكن إليها، فهل أدركت المرأة هذه المهمة العظيمة التي اعطيت لها؟

السكينة، والطمأنينة، والتوازن، والسعادة، والاستقرار، كل ذلك منوط بالمرأة، فإذا فرطت بالأمانة، وفشلت في أداء واجبها كان القلق، والشذوذ والخصام، والانحراف، والشحناء، والمرارة.

الزوجة تحتضن الإنسانية لتجد عندها السكينة. برعايتها للزوج والقيام بشأنه، وتحقيق الطمأنينة له. والرجل الذي يواجه الحياة، يجاهد للرزق، ويجاهد للعلم، ويجاهد لمرضاة الله، ويجاهد لبقاء الدعوة، ويجاهد... وهو يحتاج في كل ذلك إلى طمأنينة وسكينة، وإلى زاد نفسي يدفعه ويقويه، ويزيد من ثقته وثباته، والزوجة الصالحة، المرأة المسلمة الصالحة هي التي توفر ذلك كله.

إن الله عز وجل أراد لنا أن نرى صورة مشرقة نقتدي بها، ونأخذ منها دروساً وعبراً، هذه الصورة كانت في خديجة رضي الله عنها ـ أم المؤمنين، كما كانت في غيرها أيضاً.

كانت امرأة عاقلة شريفة واعية، فبحثت عن الزوج الصالح، والرجل الزكي الطيب، ورفضت أصحاب الشهرة والمال، ورضيت بالفقير اليتيم محمد.

نعم لم يكن اختيارها على أساس الإسلام، ولكن اختيارها

ـ أيضاً ـ يدل على أن المرأة العاقلة الواعية ـ مهما كانت ـ تختار الزوج الصالح، والرجل الكريم بخلقه ومنبته، ومزاياه.

كان المال رخيصاً أمام هذا المطلب، لأنها تشتري حياة وروحاً، وسعادة نفسية لا يمكن أن تحصل عليها المرأة بكل ماديات الأرض، وظفرت بذلك، لهذا بذلت مالها في سبيل الزوج الكفء الطيب، العاقل الشريف.

هذه الزوجة انتقلت إلى مرحلة جديدة حين جاء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وكان دورها يوم أن رُوع النبي ﷺ بالملك يأتيه من السماء وهو في غار حراء، فيرجع إلى خديجة يرجف فؤاده وهو يقول: زملوني، زملوني... فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لها يحدثها بما رأى، لأنه كان يجد عندها السكينة ويرى في قلبها المحبة والحنان والوعي: «لقد خشيت على نفسي».

فماذا قالت له الزوجة العاقلة، والمرأة الواعية؟ هل زادت من خوفه، ودعته للهروب من المسؤولية؟ إنها تنظر إلى أفق رفيع، وتعلم حقيقة زوجها الناصعة لهذا أجابته: «كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعيق على نوائب الحق».

بهذا الوعي، استدلت على أن زوجها يواجه مسؤولية

عظيمة، ويبدأ مرحلة مهمة في حياة البشرية، فكانت خديجة أول من أسلم من النساء، ولعلها أول من أسلم من الناس جميعاً.

ولهذا حين توفيت في السنة العاشرة من البعثة سمي العام عام الحزن، لأن رسول الله ﷺ فقد نصيرين له عمه أبا طالب، وزوجته خديجة.

« إن خديجة كانت من نعم الله على رسول الله ﷺ، بقيت معه ربع قرن، تحن عليه ساعة قلقه، وتؤازره في أحرج أوقاته، وتعينه على إبلاغ رسالته وتشاركه في مغارم الجهاد المر، وتواسيه بنفسها ومالها، يقول رسول الله ﷺ « آمنت بي حين كذَّبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها، وحرم ولد غيرها »[1].

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: « أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب »[2].

هذه التكرمة والرحمة من رب العالمين، وهذا الإنعام والعطاء

---

١) رواه الإمام أحمد

٢) صحيح البخاري ـ باب تزويج النبي ﷺ خديجة ونقلها نقلاً عن كتاب « الرحيق المختوم » لمؤلفه صفي الرحمن المباركفوري.

من الله سبحانه وتعالى لخديجة إكرام للمرأة المسلمة، المرأة التي ترتفع بإيمانها ووعيها إلى الآفاق الرفيعة، فتعطي زوجها بسخاء ابتغاء مرضاة الله، وتوفر له السكينة، وتمهد له سبل النجاح، لأنها تدرك مسؤوليتها، وما أعظمها من مسؤولية.

هذه بعض الخطوط التي تضيء جانباً من حياة المرأة بعد الزواج، ولكن هذه الخطوط لا تصل إليها المرأة إلا بالإعداد.

فمع أن المرأة وهي تبلغ سن الزواج، تكون قد وصلت إلى حد من النضج يتيح لها أن تقف أمام مسؤوليات الحياة الجديدة، وتمارس نوعاً من التجارب اليومية المثمرة لتفيدها في تكوين حياة مستقرة مطمئنة، وبناء أسرة إسلامية، مع كل هذا من الصعب أن تتحول المرأة بعد الزواج مباشرة من فتاة تستهلكها الاهتمامات الدنيوية الصغيرة. وتستهويها المظاهر البراقة إلى زوجة واعية، تعرف مسؤولياتها، وتقوم بواجبها كامرأة مسلمة، وزوجة مسلمة، وأم مسلمة لذلك لا بد من الحذر منذ البدء، وسلوك الطريق الواضحة التي بينها لنا الإسلام في اختيار الزوجة، وكذلك في اختيار الزوج.

فالرجل المسلم الذي يتطلع إلى تكوين بيت مسلم، يعينه على استمراره في مرضاة الله وحمل رسالته عليه أن يتحرى الدقة في بحثه عن الزوجة الصالحة، وعليه أن يضبط عواطفه بضوابط

الإسلام، فيفضل ميزات الإيمان، والتقوى والخلق، والطاعة، والوعي.

ولـذلـك ليس مهماً جـداً ان تحوز المرأة على الشهـادات المدرسية العالية، والعلوم الجامعية الحديثة، فهذه ليست ميزة حسنة باستمرار، بل ربما تنقلب إلى سبب من أسباب الفشل، والشذوذ بل يكفي المرأة إتقانها للقرأة والفهم كحد أدنى مع وعيها لمسؤولياتها كمسلمة تعيش هذه الحياة.

وحسبنا أن نضع ميزان الإسلام في أمر الزواج إذ لا يصح أن يكون المسلم مسلماً، ثم ينسى أمر ربه عز وجل وسنة رسوله ﷺ ويتبع عواطفه حين تدفعه إلى اختيار امرأة ما.

وأول أسباب النجاح للمرأة والرجل في زواجهما أن يتقيا الله عز وجل في الاختيار ويصدقا النية في البحث.

يقول عليه الصلاة والسلام: «اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجـوه، إلا تفعلـوا تكـن فتنـة في الأرض وفسـاد كبير».

فليس الميزان ميزان النسب، ولا المال، ولا الشهادة ولا غير ذلك مما اصطلحت عليه المدنية الحديثة، بعد أن أسقطت كل القيم وفسدت الحياة وأصبحت أفانين الإثارة أولى الرغبات. ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً: «تنكح المرأة لأربع، لمالها

ولحسبها، ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

وقال أيضاً: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته».

وكم يصبح المسلمون في خطر عندما يعزفون عن طريق الإسلام في الزواج!

وكم يخطىء الدعاة حين يهملون أسس الإسلام في اختيار الزوجة!

وكم تشقى المرأة إذا نظرت بعيون الجاهلية وحسب أذواق المدنية في قبول الرجل الخاطب. وإن عدم التقيد بالشروط الإسلامية في الزواج يؤدي إلى أمرين خطيرين:

١ - القضاء على الأسرة الإسلامية التي تنشأ من الزواج الإسلامي الصحيح، والقائمة على زوجين مسلمين واعيين.

٢ - وضع الفتاة المسلمة الواعية في أزمة نفسية واجتماعية قاسية. حين تشعر بالاجحاف والتنكر من عزوف الشباب المسلمين عنها، مع أنها أولى من غيرها بالتكريم والتأييد، وبث الثقة في نفسها، وهل هناك تكريم وتأييد أفضل من اختيارها زوجة لشاب مسلم صادق، وتفضيلها على غيرها من البنات الأخريات؟

وحين تترك الفتاة المسلمة التي صمدت لأعاصير المجتمع، ورفضت إغراءات الحياة وتمسكت بدينها عن وعي، حين تترك نعرضها للفتنة ونكون قد أعلنَّا مع الجاهلية حرباً عليها، حرباً نفسية قاسية، لتترك ما تؤمن به، وتتنازل عن دينها فتصبح مبتذلة، كالمبتذلات، تؤثر المظهر، وتغرق في التبرج وغيرها من المحرمات، ومن المؤسف أن هذه الأخطاء تتكرر كل يـوم عند شباب الإسلام، وبين الدعاة إلى الله، فكثير كثير من الشباب والفتيات يبحثون عـن الأزواج مـن وسـط يغـرق في المظاهر والتبرج، وتستهلكه الأضواء والأزياء، وخدعته أفانين التقدم المزعومة، وقد يبرر بعضهم اختياره، بصفات ثانوية، او ادعاءات موهومة، أو آمالٍ أكذب من السراب أو وعود أبعد ما تكون عن التحقيق.

ومثل هذا الاختيار سيؤدي إلى تحطيم الشاب المسلم ذاته واستهلاكه في الحياة الجديدة، والمتعة الجسدية ولا سيما إذا كانت فتاته لعوباً وفتانة، خبرت طرق الغواية، فنفث الشيطان في عيونها سحراً، وكبلت زوجها الشاب بالعسل المر، والوعد المكذوب.

وإذا أظهر الزوج تمنعاً عن الاستغراق في ما تريد زوجته، ظهر التناقض، وبدأ الشقاق وحلت في البيت حياة القلق، لأن زوجته تحلم بكل ضوء وكل زينة، وترى السعادة في انطلاق

ماجن، وحرية قاتلة، وبينما يريد حياة مستقرة آمنة، فيها الحياء والعفاف، وفيها المحبة والوفاق، وتوفر له السكينة التي تؤهله لمواصلة الدعوة والقيام بواجبه، ولن يكون هناك أي مبرر للرجل المسلم حين يبحث عن زوجة في وسط جاهلي. إنه بذلك يقف ضد دعوته، ويقوي أثر الجاهلية عليه وعلى دعوته.

وإذا كان اختياره مبرراً بأنه سيصلح فتاته، وسيعدها لتكون مسلمة، فإنه يخطىء أيضاً، لأنه منذ البدء يحتاج إلى من يؤيده، ويشد من أزره ليتولى شؤون أسرته، بدلاً من أن تشغله وتستهلكه وتسحبه من المجتمع ليكون أسير البيت والزوجة فضلاً عن أنه يؤدي بعمله إلى زيادة الضغط النفسي والاجتماعي على الفتيات المسلمات الواعيات، اللواتي يجدن الإعراض لأنهن لم يمشين في طريق الغواية.

إن إصلاح هذه الزوجة التي تربت في وسط يعادي الإسلام ويكيد له، وفي بيئة تعبد الغرب وتقدس الأزياء، وتركض وراء المادة، إن إصلاحها أمر صعب، وإذا نجح الرجل في ردها إلى جادة الصواب وإلزامها بأدب الإسلام، فإنه لن يستطيع أن يجعل منها حاملة رسالة في بيته وفي المجتمع ولن يستطيع أن يحولها الى داعية، إلا اذا كانت لديه قوة فائقة على التأثير والإقناع وكان لله عز وجل مشيئة في ذلك، وهذه حالة نادرة.

★ ★ ★

أما بعد الزواج فلا بد من وضع أسس سليمة للحياة بين الزوج والزوجة، هذه الأسس تكفل من ناحية رعاية الجوانب المادية للأسرة، ومن ناحية ثانية تضمن استمرار الروح الإسلامية النامية مع الحياة الجديدة. ولن يتحقق هذا إلا في الاستمرار بتدارس الإسلام وفهمه، ووعي ما يلقى من الواجبات على الزوجين معاً حتى تدرك المرأة أن أمر دينها هو أمر حياتها ذاته، وأن سعادتها لن يتحقق إلا في ظل الحياة الإسلامية، والحرص على مرضاة الله عز وجل.

ولا أرى حياة أكثر سعادة واستقراراً واستقامة من حياة تبنى على الإسلام وتضبط علاقاتها الشريعة السمحاء، إنها السكينة الحقيقية، والمودة والرحمة التي أرادها الله لعباده من الزواج. ومثل هذه الحياة ستوفر للزوجين صفات الإيمان، والاستقامة والوعي، وسيكون مناخ البيت مناخاً إسلامياً، تتربى فيه أسرة مسلمة، وينمو فيه أبناء مسلمون. ولعل الكثيرين يظنون أن تحقيق مثل هذا التدارس والوعي، أمر سهل، لا إنه أمر يحتاج إلى عزيمة وجد، وإلى صدق ومرونة بين الزوجين، بعد ايمان منهما بأن التقصير في هذا الأمر تخاذل عن واجب مهم، وأن كل يوم يمضي دون تحقيق شيء من التقدم، أو زيادة في العلم والوعي والعمل هو عبء وتأخر وخسران.

وأما في دائرة الاهتمامات والعلاقات الاجتماعية، فإنه من المهم ان يدرك الزوجان ضرورة الوعي لما يشغلان به الوقت لأنه إن لم يشغلا النفس بالخير شغلتهما بالشر، وإن لم يتعوّدا على الطاعة وأداء الواجب والاستزادة من الخير، تعودا على المعصية أو التكاسل، أو الانشغال بالتافه. وحين تقوم علاقاتهما الاجتماعية على أساس الإسلام، وفي دائرة الاهتمامات الإسلامية وبما يحقق الخير للدعوة الإسلامية، يضمنان عدم الوقوع في شَبكة العلاقات الاجتماعية المزيفة التي لا تكترث بالمعاصي ولا تصغي إلا للشيطان.

ولذا فإن القيام بمشاريع مشتركة بين الزوجين حري بأن يزيد من الألفة والمحبة والثقة، ويعمق في نفسيهما حقائق الحياة أكثر، ولا بد من اختيار طريقة مناسبة لزيادة الإطلاع، وفهم الإسلام والقيام بالمسؤولية، وهنا لا بد من اختيار ما يتناسب مع واقع الزوجين من ناحية ويتلاءم مع متطلبات حياتهما، ويبني الأسس المهمة في عقيدتهما وسلوكهما.

ولا بد من ربط هذه الأسرة الوليدة بمحيط صحي ملائم، محيط يضمن فيه الإنسان الصلاح والخير، والتزام الإسلام والتقوى، لتبني المرأة علاقاتها مع غيرها من النساء المسلمات، فيقوين من أزر بعضهن، ويعشن في واقع متقارب، ويزدن من تمسكهن بالإسلام.

فإذا كانت نشأة الفتاة قبل الزواج نشأة إسلامية صحيحة، بدأت هنا بالعطاء والثمار في بناء بيتها على أسس إسلامية، أو بناء علاقاتها مع الأخريات.

والفتاة المسلمة الواعية مسؤولة قبل ذلك عن قبول الزوج الصالح أو رفضه وهي جديرة بأن تقف الموقف الصحيح في قبولها أو رفضها، وأن لا تترك الأمر بيد الأم والأب أو الإخوة فقط وحدهم، لا، إنما تستطيع أن تشعرهم بأن أمر زواجها يجب أن تستشار فيه، وتقبل طاعتهم إن كان ذلك في مرضاة الله عز وجل، وترفض ذلك إن كان في معصيته.

وتستطيع أن تشعرهم بأن زواجها لن تخضعه لمقاييس العصر، والمزايدات المادية، والشروط الجاهلية، بل سيكون شرط الإسلام هو شرطها، وميزان رسول الله ﷺ هو ميزانها.

وهي بعد زواجها مسؤولة أيضاً عن تذكير زوجها بأمر الله عز وجل، تعينه على الطاعة، وتدفعه للخير، وتحثه على الدعوة فإذا قامت بين الرجل والمرأة هذه الروح، ساد الوئام، وترعرعت الحياة في ظل الإسلام.

وبالتوجيه الواعي، والتشجيع المستمر، والمدارسة المناسبة ينمو وعي الزوجة ويزداد حبها لبيتها، واهتمامها بإسلامها.

فكيف إذا استطاع الزوج أن يضع برنامجاً مناسباً، ويتعهد تطبيقه على الزوجة لتزداد معرفة بما عليها من واجبات إسلامية، وما ينبغي عليها أن تفعله لتكون امرأة داعية.

إن بناء الأسرة المسلمة الواعية هو الطريق الصحيح لبناء حياة إسلامية ومجتمع إسلامي، ولكن ذلك لن يتم بالأماني، إنما هو الجهاد، جهاد النفس وطاعة الله عز وجل.

★ ★ ★

شروط منهج التربية وعناصره الأساسيّة

إن طبيعة هذا العصر تقتضي دراسة الأمور وتنظيمها، وبناءها على أسس واضحة، ولذا فإن تحقيق الصورة التي نريدها من الفتاة المسلمة الواعية يحتاج إلى جهد مدروس وإعداد منظم، ومتابعة مستمرة. وكما يهتم الناس بإعداد الشاب ليقوم بدور ما في الحياة؛ كذلك فإننا بحاجة إلى إعداد الفتاة لتواجه هذا العصر فلا تنهار، وتؤثر في مجتمعها داعية صادقة، ولكن لا تستطيع هذا إذا لم تكن معدة لذلك ضمن منهاج يكفل لها القدرة على ذلك، وأهم شروط هذا المنهاج ما يلي:

١ - أن يكون واقعياً لا يبتعد عن الأمور اللصيقة بالمرأة، والحاجات الضرورية لها، والأشياء التي تناسب فطرتها، لتشعر الفتاة بأن الذي تدرسه وتعمله إنما هو جزء منها، تحتاجه في البيت والمجتمع معاً.

وبالتالي ينبغي البعد عن الأمور النظرية التي لا أثر لها على عالم النساء، لأن كل شيء لا يدخل في حيز الاهتمامات الخاصة بالمرأة ولا يتعلق بحياتها تملّه وتبتعد عنه.

وإن استثارة اهتمامات المرأة لتكوين حياتها على أساس شرع الله أمر مهم، والمنهج الجيد هو الذي يستطيع تحقيق هذه الغاية، واستثارة هذه الاهتمامات. وينبغي البعد عن المثاليات الخيالية التي قد تترك في نفس الفتاة نوعاً من الحرمان والخيبة وفقدان الثقة حين ترى الشقة بعيدة بينها وبين ما ترنو إليه. ومن واقعية المنهج أنه يلبي تطلعات الفتاة ويزيد من خبرتها لتكوين علاقة اجتماعية ناجحة مع مجتمعها ضمن الإطار الإسلامي وطبقاً لآدابه. فضلاً عن ذلك فإنه من المهم التفريق بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة، وإذا كان هناك أمور مشتركة من الاهتمامات، والأشياء الأساسية بينهما فإن هناك أيضاً أشياء تهم المرأة ولا تهم الرجل، لذا فإن استخلاص ما يهم المرأة من الموضوعات، والأبحاث أمر ضروري، مع التخلص من العقدة التي تركها دعاة التربية الغربية في ان المرأة والرجل متساويان، دون فهم لمعنى هذه المساواة، مما أدى إلى حشر المرأة والرجل في طريق واحد واختصاص واحد، وتلقينهما علوماً واحدة وبطريقة واحدة، وبالتالي نشأت عدد من المشكلات والصراعات التي ما زالت في العالم الإسلامي، وجدير بالمرأة المسلمة أن تعي هذا، وجدير بالمسلمين من الرجال أن يهتموا في التفريق بين مناهج الرجل ومناهج المرأة لكي تتلاءم مع فطرتها، واستعداداتها، ومسؤوليتها في الحياة كفتاة وزوجة وأم.

٢ـ وكذلك ينبغي أن يكون المنهج واضح المفاهيم والأفكار، بعيداً عن التعقيد والغموض، حتى لا يحول ذلك دون تطبيقه تطبيقاً سهلاً وكاملاً، وكل غامض يدعو للخوف أو الحذر أحياناً، وديننا واضح ملائم للفطرة، فلا حاجة إلى التعقيدات.

٣ - وينبغي أن يضمن تنمية الإيمان الواعي الذي يتحول مفهومه التطبيقي عند المرأة إلى إيمان متحرك، وإلى سلوك يتسم بالمسؤولية والاستقامة والتقوى، وإلى عمل سمته الجدية والإخلاص والخوف من الله، حتى يبقى الإيمان حارساً من الزلل، وموجهاً للعمل ومقوماً للأخطاء.

إن وجه الإيمان الصحيح هو العمل به، وظهور أثره في كل مظهر وتصرف وسلوك، وإن التقوى الحقيقية هي التي تشمل ظواهر الإنسان وخفاياه. فإذا لم تتعهد الإيمان بالتقوية والتعميق، تتضخم الأمور النظرية والظاهرية على العمل والتقوى، وتصبح ظاهرة سلبية ومرضية.

٤ـ وينبغي عرض هذا المنهج بطريقة ملائمة وحيوية، والقرآن الكريم أعطانا نماذج كثيرة نستطيع استخلاصها واتباعها، فإذا ما عملنا دراسة إحصائية لآيات القرآن الكريم لاستخلاص ما يناسب المرأة ويحدد الوسيلة المناسبة لتربيتها،

وكذلك بالنسبة للحديث الشريف، فإننا سنجد كنزاً ثميناً يكشف لنا عوالم ومجالات وأساليب في التربية لم نكن قد عرفناها من قبل.

• - ولا بد من دراسة الواقع الذي تعيش فيه المرأة ليكون المنهج ملبياً لما يتطلبه هذا الواقع ويضمن استمراره في التأثير، وكلما استطعنا أن نهيء الإطار الصحيح الذي ينمو فيه وعي الفتاة كلما نجح المنهج في غايته. ومن ضرورات التطبيق أن تشعر الفتاة أنها ضمن مجتمع يشاركها اهتمامها، ويؤمن بما تؤمن، ويرى الخير والحق الذي ترى.

وهذا يعني إيجاد بيئة صالحة حول الفتاة، بيئة مخلصة تتعاون وتتكاتف وتتدارس ما يهمها لتنشئة الجيل وإصلاح المجتمع.

فاذا ازدادت رابطة الإخاء بين النساء المسلمات، فإنه يضمن لهن هذا الجو الدافيء، والثقة والأمل، والنصح خلال العمل من أجل الإسلام، ويساعدهن على تحمل المصاعب والصبر على مشاق الطريق.

ومن الخطير أن تُترك الفتاة المسلمة التي قطعت شوطاً من العناء والجهاد والمصابرة ورضيت بمنهج الله طريقاً، وبمرضاته غاية، من الخطير أن تترك وتهمل من إخوانها وأخواتها.

إنها - وهي فتاة - ترنو إلى قرين صادق كفؤ يحقق لها

الطمأنينة والسكينة ويبادلها الإخلاص والمحبة ليتعاونا على مرضاة الله عز وجل.

والمسلم الذي يسعى لهذا أيضاً عليه أن يفضل المسلمة الواعية على اي نوع آخر من النساء مهما كانت الاغراءات والفروق الظاهرية.

أما عناصر هذا المنهج فينبغي أن تنطلق من الأطر التالية:

١ ـ ينبغي أن يضمن المنهج سلامة العقيدة وصحة التصور بكل ما يشتمل عليه الإيمان بالله عز وجل وبما جاء من عنده سبحانه وتعالى.

٢ ـ وينبغي أن يتضمن ما يقوِّم السلوك، ويغرس الآداب الإسلامية في النفس، ويهذب الأخلاق، ويضبط عمل المرأة، في خاصة نفسها وفي مجتمعها.

٣ ـ وينبغي أن يتضمن إعطاء المرأة قدوة حسنة من سنة رسول الله ﷺ وسير الصالحات من المؤمنات اللواتي صدقن البيعة وابتغين مرضاة الله عز وجل.

٤ ـ وينبغي أن يتضمن صورة واضحة عن العصر بكل ما فيه من سيئات وحسنات، وأبرز معالمه التي تطبعه بطابع خاص، وأهم الأفكار والأساليب التي يتبعها الجاهليون لإفساد الجيل وإبعاد المسلمين عن الإسلام. لتوعية الفتاة المسلمة

بالواقع ولتوسيع آفاقها، ومعرفتها في الحياة.

٥ ـ وينبغي أن يوضح المنهج مسؤولية المرأة في نفسها وبيتها وأسرتها. ومجتمعها، ويحدد مهماتها في الحياة في كل هذه الحالات، ويدفعها للقيام بمسؤوليتها لأنها ستحاسب على ذلك أمام الله عز وجل.

هذه الملاحظات العامة يمكن أن تتحقق من خلال منهج تربوي وتعليمي يتعهد الفتاة المسلمة منذ صغرها لتنشأ نشأة إسلامية واعية، وأهم روافد هذا المنهاج هي ما يلي:

١ ـ صحة التصور ووضوحه، وسلامة الاعتقاد وبيان حدوده، إذ لا يكفي أن ترث الفتاة المسلمة أمور العقيدة من البيئة أو الأسرة التي نشأت فيها، بل لا بد لها من أن تفهم العقيدة بصورتها الواضحة الحقيقية، الشاملة الكاملة الايجابية، كما أوضحها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، وكما علمناها رسول الله ﷺ في سنته الشريفة، وكما فهمها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، ووضحها جمهور العلماء الأتقياء الصالحون.

وهذا التصور ـ بصورته الحقيقية ـ يبعد عن الفتاة ذلك الخليط المشوش من التصورات الناقصة والدخيلة، والمشوهة، ويجعلها تدرك معنى الألوهية والربوبية والوحدانية، والإيمان

والشهادتين، ومعنى الدخول في الإسلام، ونـواقـض الإسلام ونواقض الإيمان.

وحين يصح التصور تتحول سلبيـات الحيـاة عنـدهـا إلى إيجابيات، وتجيش المشاعر، وتتفتح لديها كوامن الفطرة وحب المعرفـة للاستـزادة وإدراك الواجبـات والحقـوق، وحـدود مسؤوليتها في الحياة، وسلامة السلوك والأدب الإسلامي.

إن إدراك هذا المعنى للألوهية والعبودية وحقيقة الإيمان، سيصل بها إلى معرفة الغاية من الحياة، وسيتوضح لها الطريق الذي ينبغي أن تسلكه، والتفكير الذي تناقش به أمور الحياة، والقيم الخالدة التي تعلو في مقياس الفطرة السليمة، وبمعنى آخر ستدرك الحياة من خلال تصور واضح، إسلامي متميز، لا يضللها رأي، ولا يحرفها تيار، ولا يخدعها مظهر.

٢ ـ والسبيل إلى هذه الغاية لا يتحقق إلا بفهم آيات القرآن الكريم فهماً صحيحاً واعياً، ضمن الإطـار الواقعـي للحيـاة، والمناسبات الموحية للسـور والأحـداث المرافقـة للتنـزيـل، والتطبيق العملي لمفهومها لدى مجتمع الدعوة الأول. ولا بد من التفاعل الوجداني والعملي مع الآيات حتى تتحول إلى حياة تنبض مع نبضات الدم في العروق، وأنفاس حية تنعش كيان المرأة كما ينعشها الهواء النقي، ثم لا بد من ترتيب الاختيار

للآيات والسور التي تدرسها المرأة حتى تتركز أمور العقيدة أولاً، وتضرب بجذورها في أعماق النفس والسلوك.

ودوام الصلة بكتاب الله عز وجل، تلاوة، وفهماً وتدبراً، وعملاً يعمق إيمانها، ويزيد صلتها بالله عز وجل،

وإن دراسة كتاب الله لم تأخذ الجدية المطلوبة عند المسلمين من الرجال والنساء وكثيراً ما نصادف عجز المسلم المثقف ـ رجلاً وامرأة ـ عن القراءة الصحيحة فضلا عن التلاوة المضبوطةبأصولها المعروفة. فكيف يتفق هذا مع اهتمامنا بديننا، وإيماننا بأن كتاب الله هو دستورنا، وهو الهادي إلى الخير.

إن القرآن هو المدرسة الشاملة للمسلمين، وما لم تتحول بيوتنا الى فصول دراسية، والى بساتين مثمرة ينضج فيها الإيمان والوعي والأدب، وحب الجهاد نبقى بعيدين عن هدفنا.

ولذا فإن المرأة تستطيع أن تفعل ذلك وحدها أو مع أولادها وزوجها، او مع غيرها من أخواتها،

والقرآن الكريم هو الذي يوضح أمور العقيدة، ويرسخها وهو الذي يعرفنا حقيقة الإسلام، وهو الذي يعلمنا أدب الإسلام وأخلاق الدعاة الى الله.

وهو الذي يوقظ الإحساس بالآخرة الذي يحجزنا عن كثير من التجاوزات والأخطاء، ولذا فإن أي منهج لا يبدأ بكتاب

الله، وإن أي سبيل للتربية لا تنطلق من كتاب الله لا بد وأن تفشل وتنحرف.

ويحسن أن تتبع التدرج المناسب لتوضيح العقيدة، بشكلها الكلي المبسط أولاً، ثم بتفصيلاتها وجزئياتها الدقيقة ثانياً، مع مراعاة الأهمية في ترتيب هذه الدراسة، والحرص على الوضوح بشكل مستمر.

٣ ـ ولا بد من دراسة الحديث الشريف، والعيش في ظلاله من خلال استقصائنا لظروف كل حديث وتحديد إطاره الزمني، ومناسبته ما أمكن.

وإذا استطعنا وضع تصنيف محدد لعدد من أحاديث رسول الله ﷺ، لكي نرى من خلالها الصورة التطبيقية لمفهوم العقيدة وشريعة الإسلام، من ناحية وتكون ملائمة للمرأة، تساعدها في فهم الحياة والإحساس بمسؤوليتها، ومعرفة واجبها وأخذالأسوة من الصحابيات رضوان الله عليهن من ناحية اخرى وإن هذه الجوانب كثيرة ومهمة، ولكنها تحتاج الى تصنيف جديد يجمع هذه الأبواب والمسائل الخاصة بإعداد المرأة وتربيتها.

وإن فهم الحديث الشريف يعني أننا فهمنا تطبيق رسول الله ﷺ لمنهج الإسلام عقيدة ومنهاجاً وشريعة في نفسه ومجتمعه

في سلمه وحربه، في أمور دنياه وآخرته،في خاصة نفسه وفي بيته وفي المجتمع وبكلمة موجزة: نكون قد قدمنا الصورة الواقعية المثلى للإسلام، ولمنهجه من خلال تطبيق الرسول عليه الصلاة والسلام له.

- ودراسة سيرة رسول الله ﷺ، وتاريخ الدعوة الاسلامية في صدرها الأول تؤثر في تكوين الشخصية المسلمة، فإذا ما عمدنا إلى الجانب الذي يهم المرأة استخلصنا منهج الإسلام في إعداد المرأة وتربيتها.

وسنرى أن كثيراً من الأحداث الهامة ـ ولا سيا في جانب المرأة ـ ما زالت مهملة لم تتح لها الدراسة والتصنيف والتعليل، فإذا ما اختيرت هذه الأحداث بشكل صحيح أدت إلى ربط الفهم الواضح بالواقع الماثل.

وهذا يعني أن نختار الأحداث التي كان للمرأة دور فيها أولاً، والتي توضح فهم نساء المسلمين للعقيدة، مع عرض هذه الأحداث وتحليلها، وفهم الحقيقة التي كانت تدفع لكل هذه الوقائع[١].

---

(١) نشير في هذا المجال إلى بعض الكتب الجيدة مثل: المرأة المسلمة للاستاذ سليمان وهبي غاوجي، وعائشة أم المؤمنين وعالمة نساء العالمين للشيخ عبد الحميد طهماز، والأخوات المؤمنات، وهند بنت عتبة، وإليك أيتها الفتاة المسلمة، ومن معين التربية الإسلامية لمؤلفهم الأستاذ منير غضبان ونسيبة بنت كعب، وذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر للمؤلف.

إن المرأة التي انقلبت من الكلف المسرف بالزينة والصغائر، واستهواء الرجال، وكذلك التي انتقلت من الزاوية المهملة في المجتمع الجاهلي إلى امرأة مجاهدة، تبايع وسط جو يحيطه المشركون ويترصده أعداء الدعوة، وإلى داعية مجاهدة تحارب في المعارك، وتدفع أبناءها للشهادة، وتصبر عندما يأتيها خبر استشهاد ولدها أو زوجها؛ كل ذلك طمعاً في مرضاة الله عز وجل، وقياماً بأمر الإسلام كما فهمته هي المرأة التي يريدها الإسلام.

إن هذه المرأة جديرة بأن تدرس كنماذج واقعية من قبل المسلمات في هذا العصر دراسة واعية تفصيلية، فيها تحليل ومناقشة، وفيها إبراز لمعنى الإيمان، وفيها نماذج للتطبيق العملي للإيمان الذي تحول إلى سلوك وتطبيق يومي عند المرأة.

إن هذا يساهم في بناء الشخصية الجديدة للمسلمة الداعية، وهذا يدعونا لعرض أحداث السيرة ودراستها وتحليلها وترتيب أحداثها بحيث تخدم أغراض البناء والتربية والدعوة في هذا المجال.

٥ ـ فإذا ما تمَّ إيضاح التصور الإسلامي الصحيح بمعناه الشامل الواضح من خلال كتاب الله عز وجل وحديث النبي وسيرته ﷺ، ودراسة نماذج من سيرة الصحابيات؛ كان لا بد من إتمام صورة الإيمان المطلوب بترسيخ كثير من دلائل الإيمان

في النفس والسلوك وممارستها عملياً، مثل: الثقة بالله والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، والاطمئنان إلى قدره ومشيئته وحكمته مهما كانت الأقدار.. والسعي لمرضاة الله والاستقامة ولو أدى ذلك إلى المصاعب وكبح رغبات النفس، والسير الدائم في طريق الدعوة والالتزام بتطبيق الإسلام والدعوة لله بمفهومه الواضح.

والرضوخ للحق ولو كان مراً، والتميز عن الجاهليين ورفض كل ما يغضب الله مهما كان وراء ذلك من إغراءات أو مخوفات.

إن ذلك كله لا يتحقق بكلام ينطق، أو موضوعات تقرأ، بل لا بد أن يتحول إلى تطبيق واقعي من خلال التربية الواعية الهادفة، التربية التي تعد ضرباً من الجهاد، ولا سيما في هذا العصر، عصر الفتن والنفاق والمغريات.

وهذه التربية تحتاج إلى فهم صحيح لآداب الإسلام وفضائله، وللآداب الاجتماعية كما جاء بها كتاب الله وسنة رسوله، وإن دراسة هذا الجانب أمر مهم لأنه يغرس في النفس الأصول الثابتة للخلق الإسلامي، وأدب المسلم ـ رجلاً وامرأة ـ ويعلم المرأة كيف تصون دينها وخلقها وشرفها وبيتها ومجتمعها، ويعلمها كيف تحفظ لسانها وبصرها وسمعها ويدها، ويدربها على حسن الخلق، وحسن المعاشرة مع الزوج ومع الولد، ومع الجيران.

هذه الآداب أضحت مهددة في حياتنا، لأن الروافد الجاهلية الغربية، النصرانية، واليهودية والوثنية اختلطت بالأداب الإسلامية المتوارثة، حتى أفسدت كثيراً منها، ورثناها من المجتمع، أو خضعنا بها للعصر، وهي خارجة عن ديننا وأخلاقنا وعقيدتنا، وكم من الأمور أصبحت من ضرورات الحياة عند المرأة، بعد أن أَلِفَتْها، وخضعت لها، ورفضت تركها دون أن تدري خطورتها، إن هذا الجانب يحتاج دراسة واعية، دراسة واقعية تطبيقية، لتحارب فيها ما دخل في النفس، والفكر والسلوك والمجتمع من عادات، وتقاليد خارجة عن ديننا..

٦ ـ ولا بد أيضاً من دراسة شيء من الفقه بحيث تتعرف المسلمة على الحلال والحرام وتفهم ما يتعلق بطهارتها وعباداتها، وكل ما يتعلق بحياتها وهذا مما تكلف به المرأة والرجل شرعاً ولا يصح الجهل به، أو التقصير عنه، وكيف يجوز لمسلم أن يجهل أهم الأمور في حياته؟

٧ ـ وكذلك فإن المرأة تحتاج إلى توعية عامة في واقع المجتمع، وأخطار الجاهليات الحديثة، ومنافذ الفساد وغيرها من الأمور التي تهمها كداعية يجب أن تكون على بصيرة مما يقع حولها.

النار بالشهوات».

فهل ينهض بهذا العبء أولئك الغيورون على الإسلام؟

وهل يفكر الدعاة إلى إعداد منهجي للمرأة الداعية؟

وهل تتحول آمال هذا الجيل المسلم إلى واقع تتحول منه الأسر الضائعة إلى أسر إسلامية، وتنبت هنا وهناك المدارس والمعاهد الإسلامية التي تقيم مناهجها على أساس الإسلام؟!

وهل يفكر الآباء والإخوة بإعداد بناتهم وأخواتهم الصالحات ليكنّ مسلمات داعيات؟

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

الالتزام في السُّلوك

إن من يتتبع أخبار المسلمين الأوائل سيجد نماذج واقعية ارتفعت بإيمانها إلى ذلك المستوى النادر، لأنهم كانوا يفهمون الإيمان فهماً عملياً، ويطبقون ما يفهمون من آيات الله في أعمالهم وسلوكهم.

والسلوك ذو أهمية كبرى لأنه يعطي نموذجاً واقعياً عن فهم الإسلام والالتزام به.

والمرأة المسلمة ـ اليوم ـ تعاني من أزمة صعبة في تعاملها مع المجتمع، إذ أنها تجد صوراً من التبرج الصارخ، والخروج المثير المنحرف عن سواء الفطرة البشرية، حتى غدا الانحراف قانوناً يحكم الشارع، ويحكم به على النساء والرجال بالتقدم أو التأخر، بالحداثة أو القدم.

لقد أضحت المسلمة اليوم في تمسكها بالإسلام، وفي التزامها الواعي بأوامر ربها عز وجل غريبة بين نساء العصر، وعانت في سبيل ذلك مصاعب ومتاعب ولقيت الكره والصد

والكيد، وأحيطت بكل المغريات والضغوط، لكي تستسلم لموجة العري والتبرج والفساد الفاتك ولهذا فإن الالتزام الواعي بالإسلام والتطبق العملي لشريعة الله ينبغي أن يكون مقياساً وطريقاً للمسلمات، شريطة أن يظهر ذلك واقعاً حياً في السلوك يتفاعل مع الحياة، ويعطيها سمتها وميزتها عن النساء الأخريات.

إن لها أسوة حسنة في خديجة التي رأت في مرضاة ربها ربحاً ونعيماً لا يعدله شيء، ولهذا تنازلت عن مغريات قريش وأشرافها، وبذلت المال راضية سخية ووضعت كل مالديها من طاقة في سبيل الدعوة حتى نالت مرضاة الله عز وجل. وإن لها في فاطمة بنت رسول الله ﷺ أسوة حسنة، التي رضيت بالكفاف، وعاشت حياة بسيطة، لكنها عاشت الدعوة قلباً وفكراً وسلوكاً حتى كانت واحدة من سيدات نساء العالمين.

وكذلك لها في عائشة وبقية أمهات المؤمنين وبقية الصحابيات قدوة وأسوة حسنة ومثلاً يحتذى.

أولئك ارتفعن بالإيمان، واشتهرن بصدق البيعة والإسلام، وقدّمن في العلم والتربية والجهاد ما تعجز عنه أعظم امرأةأخرى، مهما ادعى المدّعون وتطاول الجاهليون، كل ذلك لأنهن رغبن في نعيم الآخرة وجناتها، وعرفن أن الدنيا أصغر من أن يهتم بها مسلم يبتغي رضوان الله.

إن ذلك اليوم العظيم يوم الحساب فقط، يبلغ خمسين الف سنة من سنوات الدنيا، فأين عقول المسلمين؟ وكيف يقيسون النافع والضار، والجيد والرديء ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾!! لهذا فالفهم الواعي للإسلام، والإيمان الصادق بالله والحساب وما عند الله يجعل المسلم ـ رجلاً وامرأة ـ ينظر بمنظار آخر غير منظار الجاهليين.

ومن واجب المرأة المسلمة أن تلتزم بالسلوك الإسلامي الصحيح الذي يعبر عن عقيدتها وإسلامها، ويميزها عمن نسين الله وارتضين المعصية وآثرن الحياة الدنيا، دون أن يفجعها ذلك البون الشاسع بين مظهرها الإسلامي ومظهر الأخريات من المتبرجات والكاشفات العاريات.

والمسلمون ملزمون بتهيئة المناخ الجيد لهؤلاء المجاهدات، وتوفير جو من الحماية لهن حتى لا تنهار إحداهن أمام خطر الإثارة والإغراء.

كل هذا لتكوين النواة الصحيحة للبيوت المسلمة، مع توفير الجو الملائم لممارسة حياتهن الإسلامية الصحيحة ضمن مجتمع نظيف مهما كانت هذه الصعوبات.

ومن المظاهر التي تؤثر في السلوك هذه الألوان الحديثة من «الموضات» المختلفة، والأزياء المتعاقبة في كل فصل ومن كل

لون ولكل مناسبة، والتي يمتلىء بها الشارع، محاطة بالأضواء والدعايات والمغريات بشتى الوسائل؛ من صورة ولون وضوء، وفن وأدب وصحيفة، ومجلة ومذياع، وتلفاز وسينما ومسرح.

وكل يوم تدفع بيوت الأزياء جديداً تهدف منها الاستحواذ على اهتمام الرجال والنساء معاً، حتى لا يبقى لهم ما يشغلهم إلا متابعة الجديد واللحوق بكل حديث، إضافة إلى إثارة الجنس، وإبراز المفاتن، وإلهاء عنصر الشباب بالدرجة الأولى.

وليس خافياً أن وراء بيوت الأزياء ومنتجي الزينة، ومروجي هذه المغريات اليهود سماسرة الجنس، وأعداء البشر، وحلفاء الشيطان؛ وأن غايتهم محاربة منهج الله، والقضاء على الإسلام والمسلمين.

فإذا انهارت المرأة المسلمة أمام تيار الفتنة لأي سبب كان، فإنها ستخسر بذلك كرامتها أولاً، وستكون من حلفاء الشيطان، وستغدو وسيلة يستغلها المتاجرون بالجنس، وبالتالي فهي متمردة على ربها، عاصية له مصيرها إلى العذاب الأليم إذا لم تعد إلى الحق والى منهجه الواضح.

إن سماسرة الجنس يحاولون خداع المرأة وإغراءها،

ويدخلون الى فكرها وقلبها بشتى الوسائل، ويتدرجون في ذلك.

إنهم يبدأون من منطلق بسيط، لا يحفل منه المسلمون، ويدعون أن هذا تصحيحاً لخطأ، وانسجاماً مع الشرع، ومسايرة للواقع، ويستمرون في سلسلة طويلة من الادعاءات والمطالبات حتى يصلوا إلى الفساد الواضح والدعارة الرخيصة ويسمون ذلك كله بأسماء وأسماء والعياذ بالله.

إن الأزياء وغير ذلك من أدوات الزينة لا تصنع لهدف صالح، إنها نبعت من فلسفة شيطانية تعتمد على إفساد المرأة لأنها تعرف أن ذلك باباً واسعاً يدخل منه كل شر بعده.

لذلك فإنه مهما يكن نوع اللباس الحديث ـ قصيراً أو طويلاً ـ فإن التقيد به واختياره ـ لحداثته وعصريته وموضته فقط ـ يشكل نوعاً من الانهزام أمام فلسفة الازياء التي لا تؤمن بالله واليوم الآخرة.

والمرأة المسلمة تختار لباسها المناسب طبقاً لمعتقدها دون التقيد بأزياء العصر، وأذواقه، لأنه لا ينبع من شعور إسلامي، بل غايتها من ذلك مرضاة الله عز وجل في التستر والحشمة.

وكل ادعاء بأن اختيار العصرية والموضة والزي لا يتعارض مع الإسلام ما دامت المرأة تلبس اللباس السابغ، وتتقيد

بالحجاب، وتبتعد عن التبرج؛ ادّعاء خادع. لأن الأمر مرتبط بالله عز وجل. وللإسلام غايته وأسلوبه المتميزان وقانون العمل يخضع لهذا الميزان «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى...». لهذا فإن الأمر صحيح في ظاهره، لكنه يحمل جراثيم الموت والانهيار، لأنه يعبر عن الاستسلام للجاهلية المعاصرة، والانقياد لتفكير صانعي أزياء العصر وأذواقهم، مع العلم بأن هذه الازياء لم تصنع إلا بعد دراسة وتجربة، وهي تعبر عن موقف هؤلاء الشياطين، وخلق يلتزمه يهود العالم ومروجو الخبائث، بينما للمسلم تفكيره وذوقه وخلقه وغايته وموقفه الذي يتميز به عن موقف الآخرين.

والمدنية الحديثة حين تختار هذه المظاهر، تعلم مدى تأثيرها على النفوس وتدرك أنها من هذا الطريق تدخل إلى قلوب النساء، وتغريهن بالتدرج وتحرفهن عن الطريق السوي، وتدربهن على السلوك المنحرف الذي يبدأ بخطوة مستهترة، وينتهي بكارثة مدمرة.

وهي بهذا تدرك أنها تستطيع إدخال فلسفاتها ومفاهيمها إلى النفوس والبيوت دون اللجوء إلى المناقشات الشاقة والنظريات المعقدة. وحين تقبل المسلمة أن تستجيب لأذواق هذه المدنية تكون قد بدأت خطواتها في الابتعاد عن الإسلام وحياتها المتميزة.

والمرأة المسلمة ليست بحاجة لاختيار أذواق العصر، لأن لديها مجالاً فسيحاً لانتقاء ما يناسب ويتفق مع شرع الله ويحفظ لها كرامتها وأنوثتها ومكانتها.

وهي مسألة تتعلق بسلوك المرأة، وتدخل في إطار عقيدتها وبواعث أعمالها، وما يرافق ذلك من نية لا يعرفها غير الله سبحانه وتعالى الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء.

فإذا استعلَت المرأة المسلمة على إغراءات الجاهلية وضغوطها وتحررت من قيود العصر وأزيائه ومظاهره، تكون قد جنَّبت نفسها الوقوع في هذا المنزلق الخطير.

فإذا أرادت المرأة المسلمة أن تظفر بمرضاة الله فعليها أن تحافظ على شرع الله عقيدة وعملاً، وأن تسلك السلوك الذي يرضى عنه رب العالمين.

وإذا أرادت أن تحظى بالنعيم وتنجو من العذاب فعليها أن تتمرد على ما في هذا العصر من إغراء ومتناقضات، وأن ترفض الجمع بين متناقضات لا يريد منها المبطلون إلا تشويه الشخصية الإسلامية، وتدمير الإسلام.

إن الشيطان يود الفتنة، ويتخذ من المرأة سبيلاً، والحذر الحذر، والخوف الخوف من ذلك، حتى لا تكون المرأة المسلمة هي سبيل الفتنة والله ولي الصالحين.

* * *

لا بد من العزيمة الصادقة

بعد هذه الجولة عن المرأة المسلمة لا بد من عزمة صدق تنبعث من إيمان ويقين.

ومهما كانت معوقات الطريق، أو ضرورات اليقظة فإن وجود المرأة المسلمة الداعية يحتاج إلى عزيمة وجد وصدق.

لا بد من التضحية، التضحية التي يقدمها الرجل والمرأة معاً لإيجاد النواة الأولى الواعية في كل مكان وكل موقع، وأقول لا بد من التضحية والجد لأن البنت المسلمة لا يمكن أن تتحول إلى داعية ما لم تتهيأ نفسياً وفكرياً وسلوكياً وعملياً لهذه المسؤولية.

والمدرسة في أوضاعها المعروفة، والمجتمع بشكله الحالي، والبيوت بحالتها الراهنة لا تساعد البنت على أن تتهيأ للمسؤولية لهذا لا بد من التضحية.

التضحية من الأب المسلم الواعي، الذي يتعهد بناته كما

يتعهد أبناءه بتربية إسلامية واعية، توفر لهن فهم الإسلام: عقيدة وعملاً، وفهم المجتمع بواقعه المتناقض، وفهم المسؤولية الملقاة على عاتقهن.

ولا بد من غرس الإيمان العميق في قلوبهن ونفوسهن حتى يستقر في فطرتهن أن مرضاة الله عز وجل أعظم وأهم من كل ما في الدنيا من مكاسب وإغراءات.

ولا بد من الإيمان الحقيقي حتى ينبعث من قلوبهن ذلك الوقود الطاهر المقدس للتربية الإيمانية في البيوت والمساجد وفي كل زاوية من زوايا الحياة.

ولا بد من ربط الدنيا بالآخرة ربطاً حياً واقعياً حتى ترى المسلمة الجنة قريبة المنال ما دامت تسعى لمرضاة الله، وأن النار قريبة النكال إذا قصرت في مسؤولياتها أمام الله عز وجل، ولا بد من أن تتمثل المسلمة تلك النماذج الحية للصحابيات اللواتي بايعن رسول الله ﷺ كما بايع الرجال، وشاركن في الدعوة كما اقتضت ظروف الدعوة، وكما يتناسب مع فطرة المرأة المسلمة الواعية.

وكذلك لا بد ـ أيضاً ـ من التضحية من الأب ليقدم لابنته ذلك الوعي المستمر ويفسح لها ذلك المجال الرحب، لتفهم، وتدرس، وتعبد ربها، وتساهم في نشاطات كثيرة، وتمارس

الحياة الإسلامية الحقيقية بين أخوات لها بايعن الله عز وجل على العمل في سبيله والحرص على مرضاته.

ولا بد من التضحية بالمال والوقت وقد يصل الأمر الى الحياة ليحمي هذه البنت المسلمة من ضراوة الجاهلية التي تريدها ذليلة، وتريدها متبرجة، وتريدها سافرة، وتريدها عاصية، وتريدها في أية صورة من الصور المبتذلة، ما عدا أن تكون مسلمة واعية داعية.

ولا بد من التضحية لتوفير الحياة الزوجية الصحيحة، والأسرة الإسلامية الصادقة التي تحيا بالاسلام وله، عندما يتنازل الأب عن كل المطالب إلا المطلب الأسمى في الرجل المسلم الذي يرضى عن دينه وخلقه، والذي يحرص أول ما يحرص في زواجه على المرأة المسلمة وعلى بناء الأسرة المسلمة.

وكذلك لا بد من تضحية الزوج بالوقت والمال والراحة وربما الروح ليهيء للزوجة أيضاً سبل الاستمرار في التوعية، وسبل الاستزادة في فهم الإسلام، والمشاركة في بناء المجتمع الإسلامي.

ولا بد من التضحية الواعية لوضع المنهج المناسب الذي يضمن استمرار الزوجة في الدعوة وقيامها بواجبها كربة بيت، وزوجة صالحة مطيعة، وأماً مسلمة مربية.

كل هذه الأمور ليست أوهاماً، وليست نظريـة بـل هـي أعمال ومسؤوليات لا بد من القيام بها، والنهوض بأعبائها.

وهي مهمات عملية تحتاج إلى نظرة عملية واعية وعزيمة إيمانية صادقة.

ولهذا لا بد من البداية، وقد يقول بعض المخلصين لا بد من الاستمرار، لأن البداية كانت منذ أمد، والأخت المسلمة: بنتاً وفتاة بين أبويها وإخوتها.

وزوجة مسلمة عند زوجها وفي بيتها. وأماً مسؤولة عن أبنائها.

الأخت المسلمة اليوم أمام مسؤولية ضخمة ترنو فيها إلى الصحابيات الجليلات كخديجة، وعائشة وأسماء ونسيبة، وسمية وغيرهن من اللواتي شاركن في الدعوة، وحملن مع صحابة رسول الله أعباءها.

شاركن في كل ميدان حسبما اقتضته الظروف وكن في أعلى درجة من الوعي لما ينبغي أن يقمـن به فكانت خديجة صورة للزوجة المؤمنة المجـاهـدة، بـالنفس والمال، وأعطـت أروع الأمثلة في الوعي والتضحية والصدق.

وكانت أسماء صورة أخرى للزوجة المؤمنة المجاهدة مع بطلها الزبير، والأخت المسؤولة التي تحمل أعظم الأسرار في

هجرة رسول الله ﷺ وتشارك في الإعداد لها وتنفيذ بعض مراحلها .

وكذلك كانت بقية الصحابيـات وليس الكلام هـو الذي يرسم الطريق ولكن الإيمان والعزيمة والتصميم، الذي يتحول الى خطوات واثقة، لقاءات الأخوات واستمرارهـن في الدعـوة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا هو طريق الجنة، وهو صعب ولا شك ولكن حفت الجنة بالمكاره.

★ ★ ★

النَّماذجُ التَّطبيقيَّة

النِّسَاء وَالخِيَار الصَّعْب

- ١ -

المرأة المسلمة بحاجة إلى تدبر آيات الله وما نزل في كتابه الكريم بشأن النساء، وأن تتأسى بيت النبوة في التربية والإعداد والتطبيق الدقيق لشرع الله عز وجل.

وفي حياة النبي - صلوات الله عليه وسلامه - سنن بالغة في هذا المجال، ولنأت إلى هذه الحادثة المشهورة في حياته وحياة زوجاته معه، حيث نزل فيها قرآن يتلى، ليبقى درساً بالغاً للنساء - كل النساء - ، قال جل شأنه:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك: إن كنتن تُرِدْنَ الحياة الدنيا وزينتها، فتعالَيْنَ أمتّعْكن وأسرحْكُنَّ سراحاً جميلاً. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً﴾ الأحزاب: ٢٨ - ٢٩.

وهاتان الآيتان كانتا تعقيباً على موقف زوجاته ﷺ من

النفقة، إذ اختار النبي لنفسه ولأهله معيشة الكفاف، لا عجزاً عن حياة الرفاه والسعة، فقد عاش - صلوات الله عليه - حتى فتحت له الأرض وكثرت غنائمها وعمّ فيؤها، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد[1].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء».

وعن ابن عباس قال: ومات رسول الله ﷺ وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة، وترك درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاعاً من طعام.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «والذي نفس محمد بيده ما أمسى في آل محمد صاع من حب ولا صاع من تمر، وإنهم يومئذٍ لتسعة أبيات، له يومئذٍ تسعة نسوة»[2].

ولكن نساء النبي ﷺ - وهن من البشر - رغبن بشيء من متاع الحياة الدنيا، وراجعن النبي عليه الصلاة والسلام في أمر النفقة، فحزن النبي ﷺ لذلك، وبلغ به الأسى أن احتجب عن أصحابه، فكان ذلك أمراً صعباً يهون كل شيء دونه، وجاؤوا فلم يؤذن لهم.

---

(١) انظر الجزء الثاني والعشرين «في ظلال القرآن» سورة الأحزاب.

(٢) «كتاب الزهد» للإمام احمد بن حنبل رضي الله عنه.

روى الإمام أحمد بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال: أقبل أبو بكـر ـ رضي الله عنـه ـ يستـأذن رسـول الله ﷺ والناس ببابه جلوس، والنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ جالس، فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر ـ رضي الله عنه ـ فاستأذن فلم يـؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فدخلا والنبي جالس وحوله نساؤه وهو ـ ﷺ ـ ساكت، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ لأكلمن النبي ـ ﷺ ـ لعله يضحك. فقال عمر: يا رسول الله لو رأيتَ ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه وقال: «هُنَّ حولي يسألنني النفقة».

فقام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى عائشة ليضربها، وقام عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى حفصة؛ كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده؟!

فنهاهما الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقلن: والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده.

وأنزل الله عز وجل الخيار في الآيتين السابقتين، فبدأ رسول الله ـ ﷺ ـ بعائشة فقال:

«إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك».

قالت: وما هو؟

قال: فتلا عليها: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك..﴾ إلى نهاية الآيتين.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله»[1] وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت.

فقال ﷺ: «إن الله تعالى لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها».

ـ ٢ ـ

من هذه الحادثة، ومن الآيتين الكريمتن نتبين عدة أمور يمكن أن توضح لنا طبيعة المجتمع المسلم، والأسرة المسلمة، وعلاقة الزوج بزوجه حينما يواجهان معاً صعوبات الحياة، وتحديات المجتمع، ويعانيان من عثرات الطريق ومحن الإيمان.

وإذا كانت الآيتان تعقيباً على حادثة خاصة بزوجات رسول الله ﷺ فإنهما أيضاً تعطيان نماذج وأمثلة لتتأسى بها نسوة المسلمين في كل عصر، ونتعرف من خلال الحادثة إلى النموذج

---

(١) أخرجه مسلم من حديث زكريا بن إسحق، وروى ذلك البخاري بإسناده

الحياة ومتطلبات الدعوة. فرسول الله صلوات الله عليه قدوة لنا في كل شؤونه، ونساؤه نماذج عن بيت النبوة يحتذيها النسوة.

وأول ما نلمحه من الحادثة تلك الطبيعة الإنسانية التي تميل إلى الدعة والرفاه حين ترى منفذاً لها، إذا غفل عن مراقبتها صاحبها، أو وهنت بواعث الإيمان عنده، مهما بلغت هذه الطبيعة من الإيمان والتهذيب، ولا سيما إذا كانت تعاني من شظف العيش وقسوة الحياة، وقلة المورد مدة من الزمان[1].

والنساء بطبيعتهن أكثر ميلاً لهذا من الرجال لما في نفوسهن من رقة ونعومة وحب للمظاهر والرفاه.

ونساء النبي - في هذه الحادثة - كنَّ في طليعة المسلمات المؤمنات اللواتي تحملن في سبيل الدعوة، وآثرن قسوة الحياة وصعابها مع الإيمان على الرفاه والنعمة والسعة مع الكفر، وضربن في ذلك أحسن الأمثلة.

ومع ذلك فإن هؤلاء النسوة - رضوان الله عليهن - رأين رسول الله - ﷺ - وقد أيده الله بالنصر، وأظفره بأعدائه، وجاءت إليه الوفود مسلمة مبايعة، وراحت جيوشه تضرب

---

(١) انظر في ظلال القرآن الجزء الثاني والعشرين، سورة الأحزاب.

بسيف الله هنا وهناك، والنعمة والغنائم أضحت ترد كل يوم ليوزعها على المسلمين - مهاجريهم وأنصارهم - فيفرح المؤمنون بنصر الله ويشكرونه على نعمائه، ويظهر ذلك على المجتمع كله، فتغدو النساء أكثر رفاهاً وتنعماً، ويستمتع الناس برزق الله الحلال، فتميل نفوسهن - رضوان الله عليهن - إلى الدنيا، ويطلبن من رسول الله - صلوات الله عليه - النفقة والسعة، عندما رأين ما في أيدي الناس من سعة ونعمة.

كان ذلك ينمّ عن طبيعة المرأة مهما بلغت منزلتها ومهما رأت من صور الإيمان، ولكن الله عز وجل أراد أن يقوّم هذه الطبيعة، ويحدّ لها حدوداً واضحة تبقى معالم ثابتة على مدى الزمن.

ويجدر بنا أن نقرن هذه الصورة بواقع المجتمع الإسلامي الأول آنذاك، فالمجتمع الإسلامي كان في عهده الأول، عهد التأسيس والإنشاء فإذا ظفر بمعاركه الأولى، وثبت أمام هجمات الجاهليين، وقضى على الوثنية في الجزيرة العربية فإن أمامه مسؤوليات أكبر، لأنه يحمل أمانة الدعوة للبشر كافة، وعليه أعباء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما دام في الارض جاهلي أو مشرك، ولهذا فإن هذا الانتصار أو ذاك، وهذه الغنائم، أو تلك الموارد، لا تعفي هذا المجتمع من مسؤولياته. ولا تبرر لأفراده - ذكوراً وإناثا - الميل للرفاه

والدعة، والركون إلى الدنيا والطمانينة إلى طيباتها.

وحينذاك ـ أيضاً ـ لم يكن الإسلام قد وصل إلى أبعد من الجزيرة العربية، ولم يكن المجتمع قد بلـغ تلـك المرحلـة التي تؤهله للاطمئنان، بل كان من أبناء الجزيرة وفي أطرافها من لم تبلغه الدعوة ولم يصله الإسلام بعد، ومنهم من لم يبلغ منه الإسلام سوى الأذن، ويلزمه جهاد في النفس وتربية متأنية، وجلس ينتظر الفرصة المواتية للردة.

وإزاء هذه الحالة فإن الميل للدعة والرفاه سيقضي على قوى هذا المجتمع، ويطفىء حرارة الإيمان الطامح، ويميت النفس المسلمة التي ترجو نعيم الآخرة، وتسعى لمرضاة الله سبحانه، وتصبر على صعاب الجهاد، وهذا يحول دون متابعة الطريق، وأداء الأمانة التي حملها الإنسان وناءت السماوات والأرض عن حملها، وكان ظلوماً جهولاً.

والأمر الثالث الذي نلمحه هنـا يتعلـق بمكـانـة المرأة في المجتمع، حيث تعتبر صمام الأمان فيه، وما صلحت أمة إلا كان نساؤها ينضبطن بشرع الله، ويتقين الله عز وجل، وما فسدت أمة إلا كان نساؤها فتنة بالغة، وكانت ملازمة للهو والزينة والمتاع، قال رسول الله ﷺ: «كيف إذا فسق فتيانكم،

وطغى نساؤكم؟ قالوا: يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: نعم وأشد» الحديث رواه رزين[1].

وقال في حديث آخر: «ليكوننَّ من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير، والخمر والمعازف... الحديث» أخرجه البخاري.

وعن أبي سعيد قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» أخرجه مسلم والنسائي.

وعنه: « «فما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[2].

فهذه الأحاديث تبين خطورة المرأة إذا تنكبت عن شرع الله، واتخذها الرجال شهوة لا غير، واتخذوها ألعوبة يتلذذون في بهرجتها وعرضها في الأسواق كما فعلت مدنية هذا العصر وجاهلياته المختلفة.

وإذا تركت المرأة بلا تربية، ولم يقم وليها بردها إلى طريق

---

(١) من كتاب حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة ص ٣٩٧.

(٢) من كتاب حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة.

الخير والصلاح وراحت تروي ظمأها وترضي ميولها فإن في ذلك البلاء العظيم.

وكذلك فإن مما يؤدي إلى هذا المنزلق أن تركن إلى الرفاه، وتسعى للتنعم والاسراف متى ما تدعوها النفس الأمارة بالسوء، مهما كانت الظروف والأحوال، دون أن تحسب لذلك حساباً، أو تخشى عاقبة هذه الخطوات من نفسها وأسرتها ومجتمعها. وحين يحدث هذا نكون قد مهدنا السبيل إلى تدمير المجتمع، لأنه آثر الراحة على الجهاد، ومتاع الدنيا على نعيم الآخرة.

فليس الأمر إذاً حِجْراً على المرأة يمنعها من التمتع بنعم مباحة بقدر ما هو تحديد دقيق للأسباب التي تودي بالأمم وتصل بها إلى الجحيم.

إن المسلم ابتداءً يجب أن لا ينسى دوره في الحياة بأنه ممتحن ومستخلف وليست غايته في الأرض أن يكرع من ملذاتها ما يستطيع، وأن يلتهم من طيباتها ما يشتهي.

إن فيها مغريات وملذات وطيبات ولكن المحنة التي سيحاسب عليها تكمن في التزام الطريق المستقيم، فكل الناس في خسران وبوار إلا الذين آمنوا بحق وصدق، قولاً وعملاً، يقيناً وتطبيقاً، وعملوا الصالحات دلالة على هذا الايمان، فالتزموا بمنهج الله عز وجل، وتواصوا بالحق وتواصوا

بالصبر . والتواصي هو طريق المؤمنين، ومنهج دعوتهم، تناصح وتواصٍ دائم، المؤمن يشد أزر المؤمن، والزوج يرشد زوجته، ويحسن تربية ابنته حتى لا تشب وهي في منزلق الهوى وطريق الشيطان، والتواصي ضرورة لازمة لأن الطريق صعب، ومداخل الشيطان كثيرة، والمغريات لا تحصى، ولهذا لا بد من التواصي بالحق، لا بد من النصيحة والموعظة والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا بد من الدعوة إلى الله كصورة من صور التواصي بالحق، ولا بد من التواصي بالصبر، لأن سلوك هذا الطريق صعب للغاية ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ العنكبوت. « حُفَّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» حديث شريف.

ولهذا صوَّر لنا رسول الله دنيانا كلها فقال: « مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها »[1].

فإذا أخبرنا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه عن الدنيا بهذا فما لنا نرتوي منها، إن الله وعد المؤمنين جنات عرضها عرض السماوات والأرض فما بالنا نزهد بالآخرة. إن من

---

(١) كتاب الزهد للامام احمد بن حنبل ص٨ .

يصدِّق وعد الله يعمل لنيله، ويزهد بما هو دونه، فهل تدل أعمال المسلمين على هذا الصدق؟

فأمر التحذير من الرفاه يعني هذا التحديد لمسار المسلمين، والتحديد للأسباب التي تساهم في انهيار مجتمع بأسره، وضبط صحيح لدواعي الرفاه.

إن متطلبات النفقة شيء غير محدود بالنسبة للمرأة والأسرة، قد يكون زهيداً يسيراً كما رأينا في بيت النبي ﷺ، وقد يبلغ حداً من الإسراف والإنكار ما نراه في المجتمعات الحديثة التي امتلأت بالمغريات، وحرضت المرأة على أن تكون الآمرة الناهية لتدمر على المسلمين قوتهم، وتحظى بالسيطرة عليهم.

وهذه المتطلبات تتسع لكل أنواع الرفاه والزينة والازياء التي يبتدعها يهود العالم في بيوت الأزياء، ودور الفن، ومسارح المسابقات لاختيار ملكات الجمال، والتي تعهدت أكبر الشركات والوسائل الدعائية بحملها وترويجها وإدخالها إلى البيوت عن طريق المذياع «والتلفاز» والسينما والصحف والمجلات والتعليم أيضاً.

والمرأة بحد ذاتها تهوى الفتنة وتغرها الأزياء والأضواء والثناء، وشياطين الإنس يعرفون ذلك، فهمسوا وصرخوا

بآذان النساء أنكن كذا وكـذا . . . وأنتن أهـل لأن تتحملـن المسؤولية وتطالبن بالحرية و . . . و . . حتى أصبحت الدعارة فناً ، والرذيلة حرية ، وأستغفر الله ، وتكفينا شواهد التـاريـخ ووقائع الحاضر دليلاً على ذلك ، حيث بدأت دولة الإسلام تميل نحو الغروب عندما بدأت تغزوها المظاهر الناعمة وتملأ بيوتها الوسائد والطنافس والأزياء والأصباغ والأضـواء . وأضحـى الأمراء والملوك والحكام يتباهون بالجديد ، ويرون في صور الرفاه دليلاً على علو الملك ، وقوة السلطان وتقدم الدول وشيوع العلم .

وواقع المجتمعات الحاضرة تؤكد ذلك أيضاً ، إذ ما تزال الشعوب المغلوبة على أمرها تلاحق بيوت الأزيـاء ، وأربـاب الفتنة في ما يصنعون ويبتدعون ، ويزينـون للنـاس هـذا حتى يحسبوا أن في اقتناء كل جديد والاخذ بما يبدعون من الوان الرفاه تقدماً وحضارة وعلواً ، ومن نجاح هذا الكيد سعي هؤلاء الشياطين لجعـل هـذه المظـاهـر ضرورة ملازمـة للمـرأة أينما وجدت ، وهكذا أضحت المشكلة معقدة ، وصار المجتمع يبذل طاقاته المادية والنفسية والخلقية للحصول على هذه الضرورات المزعومة .

والمرأة المسلمة ـ خـاصـة ـ تتعـرض لهذا الغـزو الخطير ، وتسعى كل الجهات التي تعادي الإسلام لاخراجها من دائرة

الفطرة السليمة والمنهج القويم؛ لتدخل في تصوراتها قيماً زائفة، وتثير عندها الاهتمام بالأزياء الحديثة، والصور العصرية، وتقنعها بأن ذلك ضرورة لازمة للمرأة والحياة العصرية، وأنه من الأمور التي لا غبار عليها.

ومن هذا الطريق يصل أعداء الإسلام إلى ضرب دعاة الإيمان، وأصحاب دعوة الله عز وجل بعد إفساد تصورات المرأة وسلوكها، وتحطيم كيان الأسرة، وإحداث الفصام بين المرأة والرجل الداعية الذي كان يتمنى أن تكون المرأة إلى جانبه تسعى لمرضاة الله عز وجل.

★ ★ ★

ومن المهم أن يفطن دعاة الإسلام إلى نتائج الترف، وخطورة الاطمئنان إلى التنعم، لأن في هذا إماتة للقلب المؤمن اليقظ، وصد عن الجهاد، وقعود عن متابعة الدعوة.

ولكم كانت هناك صور من هذه المحن سقط فيها شباب مسلمون كانوا يمتلئون حماساً ويتقدون اندفاعاً، حتى إذا اطمأنوا إلى هذا النعيم الزائل، وحرصوا على صور الرفاه، انطفأت شعلتهم وماتت قلوبهم وصاروا هياكل جوفاء. وكم خسرت دعوة الإسلام من رجال صبروا على محنة العذاب، ولم يستسلموا للبؤس، ولكنهم خسروا المعركة في ميدان الرفاه،

فمالوا عن الدعوة، وزينت لهم نفوسهم حياة الدعة، وسخَّروا أنفسهم لهذا، فأصبحوا مثلاً يخشاه الصادقون.

أفبعد هذا نطمئن إلى هذه الصور البراقة وننسى ما عند الله؟

- ٣ -

وفي موقف رسول الله - ﷺ - إيحاء بالغ الأهمية، إذ يمثل لنا الرجل الداعية الحق، القدوة والمثل، المؤمن الصادق مع ربه ومجتمعه وأصحابه ونفسه، والذي يرتب لنا أمور الحياة حسب أهميتها في ميزان الله، ولا يدع جانباً يطغى، أو يدع ثغرة تنفذ منها السموم.

لذلك فإنه حين واجهته نساؤه بهذا المطلب الذي لم يكن عسيراً عليه تحقيقه، وقف موقفاً مبدئياً، وخطا خطوة فاصلة واضحة، وواجه الأمر بحكمة وحزم، فرأيناه يجلس في بيته ويحتجب عن الناس وعن اصحابه جميعاً، حتى يستأذن صاحباه: أبو بكر عمر - رضوان الله عليهما - فلا يأذن لهما إلا بعد حين.

وعرف المسلمون من هذا أهمية الأمر وخطورته معاً، وجعلوا يتساءلون جميعاً عن السبب، ويحاسبون أنفسهم حتى لا يتركوا للشيطان منفذاً، وانتظروا جلية الخبر لينفذوا أمر

رسول الله ﷺ بعذ احتجابه عنهم.

وكيف وقف رسول الله ﷺ من نسائه وسؤال النفقة؟

وهل سيحقق لهن هذا المطلب الدنيوي الهيِّن؟ والصعب!!

وهل يؤثر أن يعطي نساءه مما أفاء الله عليه في الدنيا بعد أن أصبح أمر الإسلام واضحاً منتصراً، والدولة قوية وطيدة في الجزيرة؟

وهل يؤثر أن يحافظ على البيت كي لا يتصدع بعد اجتماع نسائه عليه من أجل النفقة فيستجيب؟

وهل يوافق على إعطائهن ما طلبن حتى يعرف المسلمون أن أمر الدعوة لم يعد بخطر، ولهذا فلهم أن يتنعموا، وتتنعم نساؤهم ويركنوا إلى ما أنعم الله عليهم مكتفين بالجزيرة العربية؟

هل كان لرسول الله ﷺ أن يفعل ذلك فيثلم في الإسلام ثلماً لا يستطيع الزمن كله أن يمحوه، ويصبح من بعده منهجاً وسنة؟

لقد كان المطلب هيناً وبسيطاً لأنه بعض ما أعطاه الله من الرزق والغنيمة والمورد الحلال،ولكنه صعب عسير يتنافى مع الرسالة، مع المكانة التي أكرمه الله فيها لحمل الأمانة، والدعوة والجهاد في سبيل الله، ودعوة الناس إلى الوحدانية وطاعة الله،

ومحاربة الباطل في كل الأرض، ونقل الناس ليكونوا تحت راية لا إله إلا الله في العالمين.

كان رسول الله - ﷺ - وهو القائد المربي، والقدوة الرسول يدرك ذلك، ويعرف أثره على المجتمع الوليد الذي ينظر إليه قدوة مثلاً، ويدرك أثره على نسائه ونساء المسلمين جميعاً اللواتي ينظرن إلى نساء النبي كقدوة ومثل أيضاً.

بل سيتعدى الأمر إلى أعماق الكيان الاجتماعي للمجتمع المسلم، فيؤثّر على كيان الأسرة المسلمة التي يريد تكوينها على تصور إسلامي صحيح راسخ، بعد تهديم الصورة المزيفة للأسرة القديمة التي قامت على إشباع اللذة وحب المادة، والفخر بالمال والولد، فأهينت المرأة وبقيت متاعاً لا دور لها ولا قيمة.

ولهذا وقف رسول الله - ﷺ - تلك الوقفة الصارمة الواضحة ليضع المعالم الراسخة، والحدود النهائية لطريق الدعاة والمسلمين في ذلك المجال، وجاء تأييد السماء، وبيان رب العالمين أيضاً.

آثر أن يترك نساءه جميعاً، أو يهجرهن على أن يتنازل لهذا المطلب الدنيوي المنافي للدعوة، أو يشوه صورة الإسلام والمسلمين، ويحدث ثلماً في طريق الإسلام.

وكان الخيار الصعب لهن جميعاً نوعاً من الامتحان الذي هزّ

أعماقهن، ولمس إيمانهن في أعز ما يحملن منه، وأخطر ما يرجيّن منه.

وخيرهن الله ورسوله أن يطلقهن رسول الله ﷺ، لكي يتنعمن بكل ما يطلبنه من نعيم الدنيا، ويأخذن ما يردن من زينتها، أو يرتفع معنى الإيمان في قلوبهن، ويزداد وعيهن، ويدركن مسؤوليتهن. لقد كان الخيار صعباً ـ حقاً ـ وكانت الهزة عميقة، حتى بلغ الأمر قلوب المسلمين جميعاً، رجالاً ونساءً، ويتعلمن الدرس جيداً.

لقد كنّ بحاجة لأن يزداد الشعور بأمانة الدعوة للإسلام في نفوسهن إلى حد لا يترك عندهن مجالاً لإيثار دنيا على الطاعة، ولا تفضيل إغراء أو مظهر مهما كان طاغياً ومثيراً على أمر الله، وحتى يعرفن أنّ أمر الآخرة ونعيمها لا يقاس بالدنيا.

كان الخيار صعباً لأن المسلم يهلك نفسه ويضيّع دعوته إذا ما ركن الى مطالب النساء في متاع الدنيا حتى يغدو الأمر وكأنها الحياة الطيبة يزين الشيطان هذا الركون وهذا الهبوط، ويظهره بألف مظهر خادع باسم النعمة والحلال و... و.. ليطفىء شعلة الدعوة، ويحرق الدعاة. وكان الخيار صعباً لكي يبقى نساء النبي ﷺ وبيت النبوة قدوة ومناراً للمسلمين والمسلمات،

وهكذا ظل بيت النبوة بيت التربية الاسلامية، بيت الدعوة الخالصة، وفازت أمهات المؤمنين.

وأصبح هذا الاختيار مَعْلماً أمام الرجال والنساء.

- ٤ -

انتهى الخيار بموقف رائع فكان امتحاناً لإيمان أمهات المؤمنين، وانتصاراً لهذا الإيمان الناضج في نفوسهن، وتصحيحاً لتصور بعض المسلمين عن الإسلام ودوره في تربية النفس حين أدركن معنى الاختيار، ورأين سعة الشقة بين طرفي الخيار الذي لا لقاء بينهما..

لذلك كان اختيارهن جميعاً - رضي الله عليهن - الله ورسوله، وتركنَ سؤال النفقة ووعين الدرس، وعرفن الدور الذي ينبغي لهن. وإذا عدنا إلى طبيعة الخيار نلمح فيه التناقض الدائم بين اختيار الدنيا ونعيمها، وإيثار زينتها ومغرياتها، وبين اختيار الله ورسوله والآخرة والاسلام.

وكان الخيار دلالة واضحة على أنه لا يمكن أن يجتمع النقيضان حب الدنيا وحب الآخرة، حب الله ورسوله وحب الركون إلى الأرض والاستمتاع بها، ولا يمكن أن يكون في قلب الإنسان غير واحد من هذين، لذا لا بد من إضعاف طرف من أجل الآخر،فالركون إلى الدنيا سيضعف الإيمان،

وسيضعف بواعثه حتى يغدو أثراً بعد عين، وسيزيد في طمع النفس وحبها للدنيا، واطمئنانها إلى مغرياتها، وسيصل بها إلى نسيان الآخرة، وبالتالي يضعف ما يترتب من أجلها من واجبات ومسؤوليات في الدنيا.

والركون إلى الدنيا يحمل في طياته شكا بالآخرة وما فيها من نعيم، لهذا يقبل صاحبها على أخذ اقصى ما يستطيع من دنياه.

ولهذا فإن نسوة رسول الله ﷺ، هزهن الموقف وجعلهن يشعرن بحقيقة ما أقدمن عليه، وخطورة ما طالبن به، وعرفن أنهن كن يقفن في أول منحدر حين أصغين إلى دواعي النفس ورغباتها. لهذا سارعن ـ جميعاً ـ لاختيار الله ورسوله، وعاهدن الله ورسوله على عدم طلب النفقة ثانية بعد هذه المحنة القاسية.

ـ ٥ ـ

وإذا نظرنا إلى ما أحاط الحادثة من أمور مهمة، نرى موقف أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، إذ هزهما النبأ كما هز بقية المسلمين، فركضا إلى رسول الله ﷺ ليستجليا الخبر، ولما أذن لهما بالدخول أراد عمر أن يخفف عن النبي عليه الصلاة والسلام بعض همومه، فروى له ما حدث مع امرأته ابنة زيد

فقال له: «لو رأيتَ ابنة زيد سـألتني النفقـة آنفـاً فـوجـأْت عنقها».

وكان موقف عمر موقف المؤمن الصادق الذي ألهمه الله هذا الموقف، فحكى لرسول الله ﷺ هذا وهو لا يدري ما الخبر حتى ضحك رسول الله عليه الصلاة والسلام.

كان عمر يدرك طبيعة المسؤولية التي يحملها المسلم الداعية إلى الله، ويدرك حقيقة الغاية التي يسعى لها لنيل مرضاة الله ونعيم الآخرة، ويدرك حقيقة الإسلام التي تعني بيعة لله ورسوله وإيثاراً لما عند الله على كل شيء؛ لذلك لم يلتبس عليه الأمر وكان حازماً في رده على زوجته ليعيدها إلى الصواب لا بخلاً وضناً، ولا عجزاً وفقراً بل حتى لا يدع للشيطان منفذاً يدخل منه إلى نفس الزوجة وموطن الأسرة.

كان تلميذاً باراً، وجندياً طائعاً لقائده ﷺ، لهذا سار على هديه ووقف موقفه قبل أن يعلم أمر نساء النبي، لأن ذلك ما يقتضيه الإسلام والإيمان.

وهو موقف رائد أوصل عمر وأهل بيته إلى تلك القمة السامقة التي جعلته يبكي من حساب الله عز وجل عن عنز تتعثر على شاطىء دجلة في العراق لأنه لم يعبِّد لها الطريق وهو الخليفة المسؤول عن المسلمين.

ثم كان موقف أبي بكر وعمر من عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهم ـ وهما زوجتا رسول الله ﷺ بعد أن عرفا أمر المطالبة بالنفقة. لقد قاما يريدان ضربهما حتى حال دون ذلك رسول الله ﷺ، لتعلم النساء أن الأمر أخطر بكثير من النفقة والزينة و.. إنه أمر الآخرة، أمر الله. وكانت غضبة الصديق وغضبة عمر تدل على إحساس المسلم الصادق الذي تشغله أمور دينه ودعوته، وتملأ قلبه ووجدانه متطلبات هذا الإيمان حتى لم يعد في قلبيهما محل للركون إلى الدنيا أو قبول للاهتمام بها.

وكذلك فهو موقف الوالد المسؤول أمام الله عن تربية الأولاد واختيار الآخرة لهم.

بل كانت حياتهما مع أزواجهما صورة لهذا الفهم وهذا الإحساس، ومتطابقاً مع الإيمان الصادق وتحمل المسؤولية التي أنيطت بهما في حمل دعوة الله عز وجل ونشرها في أرجاء الأرض.

ولننظر بعدها: كم تهدمت بيوت، وافترق أزواج، وتشرد بنون؛ من أجل مطالب تافهة تمسكت بها الزوجة، وتخاصم من أجلها الأهل حتى أصبحت خراباً للبيوت؟

ولننظر ما يفعل الآباء ببناتهم، إذ يحرصون على تجهيزهن بكل متاع فاخر وزينة براقة، يرهقون الشباب في ذلك،

ويعسِّرون على الازواج لتحقيق المطالب، ويجعلون في بداية الزواج سبباً للفساد والنزاع حين تزرع في نفس الفتاة ـ من أول يوم تخطو فيه إلى بيت الزوج ـ أن السعادة فيما يملك زوجها من مال وما يوفره لها من متاع، وما يتاح لها من زينة، فإذا ما تناقص ما عندها أو قلَّ ما كان يتاح لها؛ بدأت تشعر بالمرارة والظلم، ومالت حياة الأسرة إلى النزاع والخصومة، فأين الإسلام، وأين القيم، وأين الإنسان إذن؟

فهل نعي هذا الدرس وهذه الأمثلة؟

ـ ٦ ـ

وبعد... أين نقف نحن من هذا كله؟

إن أمرنا يدعو لأشد الغرابة والعجب، لأنه لم يعد يقتصر على شيء مباح وشيء جديد، ولون مستحدث؛ بل تعداه إلى كثير من المحرمات، وصدق علينا قوله ﷺ عن الفتن والنساء.

إن بيوتنا مملوءة بالمتناقضات، وأسرنا تعشعش فيها المحرمات التي تتعارض تماماً مع شهادة الحق، وحقيقة الإيمان الذي نعلنه وندّعيه. إن الدعاة إلى الله من المسلمين ـ بل المسلمين عامة ـ هم الذين طردوا من نفوسهم حب الدنيا، لأن رسول الله ﷺ يقول:

«الخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، وحب الدنيا

رأس كل خطيئة » آخرجه رزين.

والمسلم ـ بَلْهَ الداعية ـ وهو الذي آمن بما عند الله من نعيم في الآخرة، وسعى لمرضاة ربه عز وجل، فبات هذا الأمل الصعب يقلق النفس حتى تتحرق شوقاً إلى الجنة، وتسعى صعداً لنيل رضوان الله.

إن المسلم لا ينظر للدنيا إلا كما صورها الله عز وجل في كتابه « متاع الغرور »، وكما حدثنا عنها رسول الله ﷺ: « لا تعدل عند الله جناح بعوضة »، ويسعى للظفر بنعيم خالد، وليفرغ من قلبه ونفسه كل ولاء لغير الله عز وجل.

المسلم يحمل دعوته، ويجاهد في سبيل دينه، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ويقف عند حدود الله عز وجل.

وأين نساؤنا اليوم من هذا؟ نساؤنا اللواتي يحملن الإسلام شعاراً ويدّعينه فكراً؟

أين المسلمة اليوم وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ ألم يطغ حب الدنيا وشهواتها على نفوسهنّ حتى تضاءل الإيمان وخفت؟ ألم يتوار الخوف من الله والوقوف عند شرع الله حتى أصبح اعتقاداً في الضمير وركعات معدودة فقط؟

ألم تتحول العبادات إلى عادات، وبعض الآداب إلى تقاليد

ممقوتة؟ ألم تركض المرأة وراء كل جديد براق، ويتزاحمن على بيوت الأزياء، ويتراقصن أمام المعجبين، ويتمسكن بعادات شيطانية صنعها فجار وجعلوها رايات لهذه المدنية؟

ألم يتحول المتاع الطاهر إلى إسراف كريه حتى باتت كل واحدة تحرص على كنز ما ينوء عن حمله أكثر الرجال من الأثواب والزينات والموضات؟

ألم تصبح مظاهر العصر، وأزياء الغرب شعار تقدمنا، ومظهر سعادتنا، ودليل مسايرتنا للعصر؟

ألم نتهم الذين لا يخضعون لهذا السيل الآثم بالتأخر والرجعية والجمود والانغلاق، وننعتهم أحياناً بأنهم يحرمون ما أحله الله؟!.

ألم نتوار تحت عناوين فضفاضة من المباحات دون تلمس الحقائق وفهم الروح الحقيقية لما يباح أو يحرم، والنية المتوارية وراء هذا الجديد؟

ألم يبدأ الانحراف بخطوة حتى صار عرياً وتبرجاً واختلاطاً وإشراكاً ودعارة بمسميات جديدة

ألم نستمرىء ذلك كله ونركن إلى الدنيا؟

لا أريد بهذا الحجر على النساء، وإنما أريد أن لا نخسر الآخرة وأن نتذكر يوم الحساب، ونؤمن بأن الذي ينطلي علينا

لا يخفي على ربنا مهما أعطاه الناس من الألقاب الرفيعة .

وأريد أن يوازن الرجل والمرأة ـ وهما مسلمان ـ بين إيمانهما ومسؤوليتهما أمام الله عز وجل وبين ما يعرض لهما في الدنيا .

أريد أن توازن المرأة المسلمة ـ خاصة ـ في موقفها من أزياء العصر بكل ما فيها من مظاهر ودلالات(1) وموقفها يوم الحساب، وحرصها على إسلامها .

وأريد أن تعرف مسؤوليتها أمام جيل يقتدي بها ، ويتلقف كل جديد ويبحث بعينين جائعتين عن كل براق .

ولسوف يسألها ربها غداً عن هذا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ولعل المرأة التي تخاف الله وتؤمن به سبحانه وتعالى ، تقف من نفسها موقف تأمل وحساب، وتراجع واقعها على أساسه ، وتفكر تفكير المؤمنات اللـواتي اخترن الله ورسـولـه وحيـاة الإسلام لأن النعيم الذي ينتظرهن في الآخرة لا يعدله اي نعيم .

(1) إن أزياء العصر ليست مظاهر للجـاهليـة الحديثـة فقـط، بـل تحمـل تصوراتها وقيمتها ومعتقداتها وفلسفتها ومنهجها في الحياة، وتدل أول ما تدل على انها تريد اقتلاع الايمان بالآخرة من نفوس الناس والاعتقاد بأن المتاع والنعيم دنيوي فقط، وهي تدل على منهج الماسونية في إفساد الخلق وتحطيم الأسرة والمجتمعات للسيطرة بعد ذلك على الشعوب كمل هي واقعة اليوم.

لعلها تدرك حبائل الشيطان وهجمات الجاهلية الخبيثة بأزيائها ومستحدثاتها ومغرياتها فتبتعد عن الشبهات.

ولعلها تدرك خطورة الانهزام في تافهات الأمور وصغائرها وما يتبع ذلك من انزلاق وتهديد للإسلام.

إن التسامح ومطاوعة الجاهلية في مظهر أو تصور أو ملبس أو وضع من الأوضاع، يعني بداية المنزلق الخطير لمسيرة المرأة المسلمة، فهل بعد هذا لدينا ـ رجالاً ونساءً ـ ذلك القلب السليم ونحن نقدم على ما نحن فيه من أخطار.

وهل نكون قد أخلصنا لله قلوبنا، وأدينا له واجبنا إزاء بناء أسرنا وتربية أبنائنا تربية واعية لننقذهم من سموم الشيطان، وإغراءات هذا العصر الفاتن؟

فلنعد إلى تلك الدروس والأمثلة بوعي وإخلاص، وليكن هدفنا مرضاة الله، وهذا خير مسعى نرنو إليه.

المـرأة وصورة من الأمس

المرأة... المرأة...

هذا الصوت الذي يعلو هنا وهناك، يدافع عنها، وعن حريتها وحقوقها، ويطالب بأن تأخذ دورها في الحياة.. و.. و..

أمور كثيرة يحملها الناس، ولافتات براقة ترفع في مجالات الضوء والضجة، ويقف العاقل في حيرة!!

يقف العاقل متأملاً... باحثاً، يفتش عن حقائق الواقع، ومضمون هذه اللافتات وراء الضجة والأضواء.

ماذا حققت المرأة في العصر الحديث؟ وما هو دورها الحقيقي في أوروبا، وإلى أي ساحة انطلقوا بها بعد أن نالت ما تريد؟

لا أنتظر الجواب، لأن العاقل المنصف يستطيع أن يتتبع ما ينشر في زوايا مهملة في صحافة العالم ليكتشف عمق المأساة،

وظلمة الواقع الذي تعيشه المرأة في الغرب.

ونحن.. ماذا نريد من المرأة أيضاً؟

هذه الأم، البنت، الزوجة، الأخت، هل نود أن تنزلق - لا سمح الله - إلى عمق المأساة أيضاً؟

أم أننا نسترشد بمنهج ربنا، ونتطلع الى واقعية الفطرة، لنرى صور الحياة كما رباها الإسلام، ولنعرف طريق الخير للمرأة؟

لننظر إلى واحدة من أولئك الطاهرات المؤمنات.

أم سُليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام... من بني النجار، اسمها: سهلة، وقيل: رميلة، ورميثة، والغميصاء، والرميصاء. تزوجها - في الجاهلية - مالك بن النضر أبو أنس ابن مالك الصحابي وخادم رسول الله ﷺ.

وكانت امرأة عاقلة، وفية لزوجها، ودودة له، لا تؤثر إلا الخير، حسنة في عشرتها، ولكنها لا تترك لعاطفتها العنان لتسير وراء كل ما تهفو إليه النفس أو تشتهيه، بل تمعن النظر في كل ما يحدث، وتختار ما يصلح لها ولأسرتها..

ولم تكن جاهلة بأمور الحياة، لأنها وهي ابنة البيئة التي تعيش فيها لا بد أن تتأثر بها وتؤثر فيها، لهذا كانت على صلة واعية بما يدور في يثرب من أخبار، وما يجد من الحوادث.

ولما سمعت بالإسلام، وتعرفت الى هذه الدعوة من توحيد لله عز وجل، وتأدب بأخلاق كريمة، وتحرر من عبادة الأوثان والأجداد والأوهام، فآمنت بالله، وبايعت على مرضاته.

ولم يكن إيمانها كلمة تلفظها أم سليم، ولم يكن الإسلام هكذا عند أحد من المسلمين، بل كانت تفهم ما يعنيه إسلامها من عقيدة تفهمها وتدركها وتعمل بها، وسلوك تقومه على أساسها، ومسؤولية وأمانة تؤديها نحو الآخرين.

لقد غدت إنساناً آخر، تدرك معنى الحياة، وتدرك ثقل الأمانة، وتحس بعظمة المسؤولية أمام رب العالمين.

جاءت إلى زوجها ـ وهو أقرب الناس لها ـ بكل حب وود وتعقل فعرضت عليه الإسلام، ولكنه أبى وسألها: أصبوت؟

فأجابت: ما صبوت، ولكني آمنت بهذا الرجل.

فالأمر ليس نزوة، ولا تقليداً ولا اتباعاً لنزعة، وإنما هو إيمان واعتقاد وعمل، إنه اتصال برب الأرض والسماء، ونزع لكل ولاء لغير الله عز وجل.

حاولت أن تقنعه بشرع الله، وتخلصه من ضلالة الجاهلية وسخفها فأبى ذلك، ووسوس له الشيطان بالضلال، وثارت في نفسه الشهوات، وتذكر أن دين الجاهلية لا يمنعه من اقتراف ما يهوى من منكرات وآثام، فلا قيد عليه بل حرية الانطلاق

البهيمي، ولا رادع يردعه لأنه ينكر الآخرة والحساب...

وإذا رفض زوجها أن يستمع لنداء الحق، ونصح زوجته، فإنها لم تكتف بذلك، بل كان إيمانها يلقي عليها تبعات ضخمة، ولا بد لها من الصبر أولاً ومتابعة الطريق ثانياً حتى يظهر إيمانها مسؤولية وأمانةً في كل مجال.

وها هي تدرك دورها ومسؤوليتها أمام ابنها أنس، ولعل أضخم مسؤولية تواجهها المرأة في الحياة: تربية الاولاد حتى يصبحوا أهلاً للحياة، وإعدادهم إعداداً صحيحاً ليكونوا رجالاً لا تخشى عليهم أمة الإسلام من الضياع.

وهل تستطيع أية جهة أخرى، أو أي إنسان آخر أن يقوم بدور الأم في هذه المسؤولية؟

إن الواقع يشهد ـ في كل مكان ـ أنه لا يقوم بدور الأم إلا هي مهما ادعى المدعون وحاول المغرضون.

جاءت أم سليم إلى ابنها أنس وبدأت تلقنه الشهادة وتقول له: قل أشهد أن لا إله إلا الله. قل: أشهد أن محمداً رسول الله.

وفعل الطفل ذلك.

وسمع هذا زوجها فقال لها: لا تفسدي علي ابني!

فأجابته: إني لا أفسده.

ورسمت بذلك واحدة من مسؤوليات الأم في البيت: أن تعلم طفلها وتؤدبه وتربيه، تقوم بذلك من دون الرجل، فإن قام الأب بذلك ـ وعليه أن يفعل ـ فذلك خير وأفضل؛ وإن لم يقم تكون قد قامت بالواجب لأنها المسؤولة الاولى في ذلك.

والأمر الآخر هو أن تلقين أسس العقيدة من أوليات الأمور التي ينبغي أن تهتم بها الأم عند تربيتها لولدها الصغير.

والطفل يفهم من أمه ويقبل منها ما لا يفهمه ولا يقبله من غيرها ومن هنا وجب عليها أن تكون واعية لدورها، تقوم بفهم عقيدتها أولاً، وتطبيقها ثانياً، لتؤدي دور التربية ـ كأم ـ بطريق القدوة والتعليم والتربية معاً.

هذه هي حقيقة الوعي النابع من الإيمان الصادق، وهذه هي المسؤولية الكبيرة التي تناط بالمرأة المسلمة.

ونمضي شوطاً آخر مع أم سليم.

استمرت حياتها مع زوجها، تحسن له في حبها وودها ومعاملتها ما لم يأمرها بمنكر أو يريدها لشر، وتمحضه الود ما لم يمنعها عن خير أو يأبى عليها طاعة. وهذا هو الميزان الصحيح الذي تزن به المسلمة أمورها، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا متابعة للزوج إلا في حق وخير وضمن حدود الشريعة السمحة، فضلا عن أن الإسلام حرم ـ ابتداءً ـ

تزويج المشراك من المسلمة، بعد هذه المرحلة من الدعوة.

ومضى زوجها في رحلة من رحلاته قاصداً الشام، فلقيه عدو له فقتله وبلغهـا الخبر فصبرت على مصـابها وقـالـت: لا جرم، لا أفطم أنساً حتى يدع الثدي حياً، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس.

وهذه صورة من الرعاية الأمينة للطفل ومتابعة نموه، فأم سليم لا تؤثر عاطفتها على مسؤوليتها. ولا تنسى واجبها خوفاً من فوات فرصة ثمينة تتاح لها وهي شابة يسعى إليها الطالبون.

أنس ترضعه حتى يشبع وينشأ صحيح البنية، قوي الجسم مكتمل النمو، وهي مسؤولية الأم تجاه الأولاد، ترعاهم في كل الشؤون، وتقيهم من الأمراض والأوبئة حين توفر لهم الرعاية العاطفية، والغذاء الجيد من اللبن، والحماية من الأخطار، الى جانب الرعاية النفسية والعقلية، إضافـة إلى رعـايـة عقيـدتـه وخلقه. وتقويم سلوكه.

أما حين توكل أمر تربيته الى خادم فإنها تحرمه من كثير من هذه الضرورات: سيحرم من حنان لا يجده بغير ثديها وقلبها. وسيحرم من حرص الأم على تعليمه وتأديبه حيث لا توفر ذلك غير الأم التي تحس أنه قطعة منها.

وبعد ذلك تزرع في نفسه الثقة والرجولة. وتدربه على حمل

المسؤولية فإذا به ينشأ قـويـاً في عقيـدتـه، حسنـاً في طبعـه وصفاته، سليماً في جسده.

فلتنظر النساء اليوم ما فعلته أم سُلَيم المسلمة بالأمس.

وهل تستطيع دور الحضانة أن توفر للأطفال أكثر مما وفرته هذه المسلمة لابنها؟؟

وهل هناك صورة أفضل من هذه الصورة للمرأة المسلمة الواعية التي تدرك ما يحتاجه طفلها، فتقبل على حمل مسؤولياتها بدافع العقيدة؟

ونشأ أنس على خير ما تريد أمه حتى قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة فذهبت إليه أم سليم وقالت له: يا رسول الله، هذا أنس يخدمك.

وكان حينئذٍ ابن عشر سنين، فخدم النبي ﷺ منذ قدم المدينة حتى مات، واشتهر بخادم رسول الله ﷺ، وكانت أم سليم بذلك توفر لابنها أفضل بيئة يتدرب بها على الحياة ويتلقى منها أفضل العلوم.

فبيت رسول الله ـ ﷺ ـ فيه كل ما يطمح إليه الانسان من العلم والحكمة والأدب وفهم الحياة، وتقويم السلوك وحسن المعاشرة، إنه مدرسة الحياة بكل شمولها وأبعادها.

وبهذا الاختيار المسؤول ضمنت له طريق الخير برحمة من

الله وفضل، ولم تتركه للطريق يتلقفه حتى يضيع وتغويه أيدي الخبثاء والمضللين، ولعلها مسؤولية البيت في اختيار المعهد الجيد الذي يوفر للطفل عقيدة سليمة وعلماً نافعاً وسلوكاً طيباً، ودربة حسنة.

أما حينما يغدو المعهد وسيلة لابعاد الطفل عن البيت، مهما كان فيه من المخاطر فان ذلك لن يعود إلا بأفدح الأضرار على الطفل والأهل والمجتمع.

ونمضي شوطاً آخر مع هذه المرأة المسلمة.

جاء أبو طلحة ليخطب أم سليم فأبت عليه أول الأمر حتى كبر ابنها وتكلم في مجالس الرجال وقال: « جزى الله أمي عني خيراً، لقد أحسنت ولايتي » وهذا ما كانت تتمناه أم سليم من ابنها.

وعندما بلغ هذه المرحلة عرفت أنها أدت واجبها نحو ابنها وبرت بوعدها إيماناً بالله واحتساباً، وعندها قبلت أن تنظر في أمر زواجها، وجاء أبو طلحة ثانية وكان لا يزال على شركه وكان لا بد لهذا الأمر من موقف جديد.

وأبو طلحة رجل من أشراف يثرب، ومع ذلك لم يدفعها الترمل إلى قبول هذا الزواج دون تفكير.

وفوجىء أبو طلحة بأن أم سليم ترفض الزواج منه، وأراد

أن يعرف السبب. فقالت له:

يا أبا طلحة، أرأيت حجراً تعبده لا يضرك ولا ينفعك، أو خشبة تأتي بها النجـار فينجـرهـا لـك هـل يضرك، هـل ينفعك؟ فوقع في قلبه الذي قالت، وفكر في الأمر طويلاً.

وتابعت تقول: إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركاً، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت؟

ومضى وهو يفكر، وعاد ثانية وهي تقول له مثل الذي قالت وتطرق فكره بهذه الضربات لعله يصحو ويهتدي إلى الحق وينزع عن عبادة الأصنام.

وعاد ثالثة فقالت له: ألست تعلم ـ يا أبا طلحة ـ أن إلهك الذي تعبد إنما هو شجرة ينبت من الأرض، وإنما نجرها حبشي بني فلان؟ قال: بلى.

قالت: أما تستحي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان؟

فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وأزوجك نفسي، لا أريد منك صداقاً غيره!!

قال لها: دعيني حتى أنظر.

وذهب وفكر فيما قالت حتى استيقن الإيمان، وتفتح قلبه

للهدى فجاء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قالت: يا أنس قم فزوج أبا طلحة.

وهكذا تم الزواج وكان مهرها أعظم مهر اخذته مسلمة: إسلام أبي طلحة!!

هذه هي الصورة الحقيقية للإيمان، وهذا هو الوعي الصحيح للمسلمة.

المرأة لها دور في الحياة، ودورها خطير حقاً، ولكن المهم أن تعرف الطريق الصحيح أولاً، وأن تعرف السبيل القويم لكي تكون مهيأة لدورها العظيم.

كل جانب له دوره، وعليها واجب تجاهه، ولا يطغى جانب على آخر، وكل ذلك في إطار العقيدة، لأن أمر العقيدة هو الميزان والمقياس، وهو الفيصل بين الإيمان والشرك.

لقد كان مهرها غالياً، لأنه سيكون عند الله ثواباً ونعيماً، ألم نسمع قول رسول الله ﷺ: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها» وفي رواية «من حُمْرِ النَّعَم».

ولذا وضعت أم سليم زواجها في ميزان الاسلام فلم يطمعها المال مهما كثر وغلا المهر، ولم يغرّها ما يقدمه الناس من جواهر

وأثاث ومغريات مهما تنوعت، لأن ذلك شيء تافه وعرض زائل من عرض الدنيا، ولكن الذي يبقى هو العمل والإيمان الذي يعمر القلب فيضيئه ويسعده ويجعله فواحاً بالحب والود والصدق والوفاء.

فأين هذه المرأة الواعية؟

أين المرأة التي تحتكم إلى العقيدة أولا، وتفكر بعقلها في ذلك عندما تنظر إلى الرجال، فتقبل أو ترفض على أساس إيمانها، وتختار بوعي وتبصر من يكون أهلاً لها بما يحمل من إيمان، وما يوصف به من خلق، وما يتمثل به من وعي وسلوك؟!

ومتى ترفض فتاتنا المسلمة ذلك الخبط الأعمى في الأمور كلها، وتنبذ موازين العصر الذي يريد منها أن تكون عرضة للمزيدات، يغلو مهرها طبقاً لقاعدة «العرض والطلب» وتكون من نصيب المزايد المتفنن في الإغراء، المتنافي في الزيادة والعطاء.

أية جريمة ترتكب بحق المرأة والرجل معاً، وبحق المجتمع ثانياً حين تصبح المرأة سلعة تباع وتشرى، وحين تعرض بالأصباغ والزينة متظاهرة بكل المغريات وألوان التبرج كآنية البيت وأضواء الأبهاء الميتة.

وأية مهانة لإنسانيتها حين يأبى الولي تزويجها من الرجل الكفء لأنه لا يملك العرض الزائل، ولا يقدم المغريات المادية..

يا للعار.. في هذا العصر الذي أسموه عصر العلم!! يغدو الانسان بلا انسانية وترتكب بحقه كل هذه الإهانات.

لنرجع إلى ذلك التراث، ليحكي لنا قصة الواقع الذي عاش بعد ضياع، وكان ثماراً طيبة من كل طعم وكل لون.

ولننظر إلى اولئك المعلمات الطاهرات وهن فتيات وزوجات وأمهات وداعيات، فهن صور لا تمحى ومعالم في كل جانب من جوانب الحياة..

وعندنا كثير وكثير لمن ألقى السمع وهو شهيد.

ومن الوعي الحقيقي أن تنهض المرأة المتعلمة لتتعرف إلى طريقها القويم، وتحذر صيحات المغرضين حتى لا تضيع في المتاهات، ولا تنزلق إلى صور مشوهة بائسة.

★ ★ ★

تربية الأطفال ونموذج قرآني

إن مصير المجتمعات الانسانية رهين بالمعتقدات التي تتمسك بها هذه المجتمعات والتي تظهر بشكل من الأشكال، وتبدو لها نتائج كثيرة من أهمها مناهج التربية التي تقوم على أساسها المعاهد والمدارس والجامعات، وتعمل على أساسها وسائل التوجيه والتأثير والدعاية.

ولا نعجب إذا رأينا الحركة الاستشراقية، والتبشير، والاستعمار الحديث، والحركات المناهضة للاسلام، كلها تعمل على طرح النظريات التربوية، والبرامج الثقافية التي تحقق هذه الأهداف.

لقد استطاع أعداء الاسلام تطبيق معتقداتهم في ديار المسلمين باسم الثقافة والعلم والحضارة، وحملت إلينا هذه العقائد على أطباق العلم، وفي طيات الكتب الثقافية، وبرامج التعليم المختلفة، وراح المخلصون من المسلمين يتباكون على ما آلت إليه أمور الجيل المعاصر الذي تنكر لعقيدته، ورفض شريعة

الله، واتجه نحو الغرب يأخذ منه ويقتفي أثره في الشر والإثم والفجور قبل أن يستفيد منه في علم أو صناعة.

واحتلت دور الثقافة ومناهج التربية الحديثة أوطان المسلمين بدلاً من الجيوش والأسلحة والسلطة، واستطاعت أن تربي من أبناء المسلمين من يعبد الغرب، فضلاً عن الإعجاب والتبعية والارتباط، ولم يعد الغرب بحاجة إلى من يؤدي هذا الدور من أبنائه.

وكنا ـ نحن المسلمين ـ غافلين عن ذلك أحياناً، فلم نهتم بالتربية الحقيقية ولم نأخذ للأمر أهميته المطلوبة بل اكتفينا بأسلوب الزجر والردع والعقاب والأمر والنهي، بينما كان الغرب يدرس النفس، ويتعرف على ميول الناس، ورغبات الأطفال، ويبحث عن نقاط الضعف لدى الشباب والمراهقين والصغار، ثم يقدم لهم ما يناسب سنهم، ويحقق لهم أمانيهم وأهواءهم، ثم يحقق على أيديهم مخططاته وأهدافه.

إن كثيراً منا يفخر بالألقاب التي يحملها من معاهد الغربيين ويتعاجب بنفسه عندما يعود من بلد أوروبي يحمل شهادة من الشهادات، وينظر بترفع وازدراء إلى بلده، ودور العلم فيها، وكل ما تعتز به أو تحافظ عليه، وإذا به يفقد عنصر الثقة بنفسه وببلده، ولا يتحدث إلا عن الغرب ومعاهده، وبالتالي يفقد هويته الاسلامية، ويستبدلها بهوية مشبوهة ومشوهة.

والقرآن الكريم أعطانا أمثلة كثيرة لأسس التربية السليمة التي يتوجه بها البيت أو المدرسة والمعهد للابن الناشىء، لأن مسؤولية الأب والأم قبل مسؤولية المدرسة، ولن يكون هناك شيء أغلى من الابن عند الأبوين، ولن يكون هناك أمر أهم من الإشراف على تربية الأبناء لأنها مسؤولية عظيمة عند الله عز وجل، يوم يسأل الرجل عن عمله وعلمه وماله وحياته وأهله.

فليست مشاغل الحياة: من عمل، ووظيفة، وتجارة، ومال ومنصب، ووجاهة وما إلى ذلك من أمور تبرر انشغال الأبوين عن هذه المهمة العظيمة، فضلاً عن الترفع عنها ليقوم بها مستخدمون ومستخدمات من الخدم والمربيات. ولننظر إلى هذه الأسوة الحسنة، والصورة التي أوضحها لنا ربنا عز وجل في كتابه الكريم، لنتعرف إلى الأسس التي تقوم عليها.

قال تعالى في سورة لقمان: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غني حميد. وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الانسان بوالديه، حملته أمه وهناً على وهن، وفصاله في عامين، أن اشكر لي ولوالديك إليَّ

المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ، واتبع سبيل من أناب إليّ ، ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني إنها إن تكُ مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة ، وأمُرْ بالمعروف وانهَ عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ؛ إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (لقمان: ١٢ - ١٩) .

هذه الآيات الكريمات فيها كثير من ركائز التربية القرآنية التي يريدها ربنا لنا ولأبنائنا ، وسنتوقف عند الايحاءات التي نستفيدها من هذا التوجيه الإلهي الكريم:

١ - الأب القدوة:

لقمان - عليه السلام - وقد آتاه الله الحكمة ، وهذه الحكمة تقضي بشكر الله سبحانه ، الخالق المنعم ، والمحيي والمميت ، ولقد شكر لقمان ربه على نعمائه ، وكان نعم العبد الصالح الشاكر المنيب ، ليفوز بمرضاته عز وجل ولينجو بنفسه يوم الحساب . والشكر لله عز وجل إنما يعود على الانسان نفسه لأنه

بهذا يكرم نفسه كعبد لله، وينجيها من العذاب، وهو اعتراف بفضل الخالق المنعم عز وجل. وأما من كفر بالله فقد ضل وظلم، وسيحصد يوم القيامة الندم، والله غني عن شكره لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الحميد المتعالي الذي لا يحتاج إلى أحد، والكل إليه محتاج.

وهذه الصورة التي نلمحها في الآية الكريمة تعطينا مثلاً للأب القدوة، إذ ينطلق في سلوكه هذا من إيمانه بالله عز وجل، وهل أعظم من ربه ليشكره بعد الإيمان به، ويعبده بعد اليقين بألوهيته، ويطيعه بعد الاعتراف بربوبيته؟ ولذا فهو يخاف من عقابه، ويسعى لمرضاته لأنه يعلم علم اليقين أن الله غني حميد بنفسه، وإنما الانسان المخلوق هو العاجز الفقير إلى الله عز وجل.

ومن هذا الموقف، وهذا الإيمان، وهذا الفهم لعلاقة العبد بربه طبقاً لتصور المسلم؛ يسلك لقمان الحكيم طريق الشكر، ليكون قدوة أمام ابنه الذي سيتوجه إليه بالنصح والتربية، لأن التربية لا تؤتي ثمارها إن لم يكن هناك القدوة المربي.

٢ ـ طريق الموعظة

بعد هذا توجه لقمان لابنه برفق وأناة، بعيداً عن الزجر

والقسوة والعنف، وسلك سبيل الموعظة الحسنة، والموعظة تعني النصح والتذكير، ولكنها أيضاً تحمل في طياتها الصدق والحنو والعطف، مع اختيار الأسلوب المؤثر الذي يلمس شغاف القلب، ويؤثر في النفس والفكر. إذن نستشف من عبارة الموعظة الفكرة والأسلوب، أي يحقق الغرض الذي يريده من التربية، ويوصل الحقيقة كاملة بالأسلوب المؤثر الحسن إضافة إلى أن الموعظة تدخل الجانب الانساني العاطفي، لهذا فلن تكون الموعظة حقيقية إن لم تخرج من شعور صادق، واشتراك عاطفي بين الناصح والمنصوح.

والموعظة الحسنة هي الأسلوب القرآني الاسلامي الذي اختاره الله عز وجل للتربية والدعوة، وظل هذا الأسلوب التربوي يؤثر في الأجيال حتى فقد حرارة الصدق من الواعظ، وصورة القدوة الحسنة. ولهذا فقد اراد أعداء الاسلام أن يصموا هذا الأسلوب بالإخفاق والقصور، مستندين إلى مبررات معينة، ليحققوا غرضاً خبيثاً، ويحلوا فلسفاتهم الأرضية ومناهجهم الحديثة محل المنهج الرباني في التربية والتعليم.

٣ ـ الركن الاول في التربية والتعليم:

بعد أن رأينا أسلوب الوعظ، الذي يوحي بالنصح

والارشاد والأسلوب الصادق، والشعور الشفوق، تحدد الآية الكريمة ركن التربية الأساسي والركيزة الأساسية للتعليم؛ وهي تربية الابن على توحيد الله عز وجل وعدم الشرك بالله، كل أنواع الشرك بشراً أو مادة أو وضعاً. ولا يكتفي لقمان بالتوجيه وإنما يدعم ذلك بالحجة القائمة على العلم والواقع، فالشرك ظلم عظيم، بل أعظم أنواع الظلم، ظلم للنفس، وظلم للناس، ولا سيما أن المشرك يجبر النفس على معاندة الفطرة، ومعاكسة الحق، والخروج عن الناموس الإلهي، وكذلك يجبر النفس على اتباع منهج قاصر خاطىء مدمر، وضعته عقول البشر وهي قاصرة جاهلة، والمشرك يجبر المجتمع على اتباع منهج غير منهج الله أيضا ومن أجل هذا كان العقاب هو النار، نار الله العظيمة.

أليس من الظلم الفادح أن يجهل الانسان حقيقة الله، وهو الخالق العظيم الذي تنطق كل المخلوقات بعظمته وقدرته؟

أليس من الظلم العظيم أن يساوي الانسان بين الخالق والعبد؟ أليس من الجهل والظلم والجنون أن يقرن الانسان بين العجز الضعيف، والقوة المدبرة الحكيمة؟

إن هذه اللفتة ـ إن الشرك لظلم عظيم ـ تفتح أمام العقل مجالاً رحباً يتملى فيه قدرة الله سبحانه، ويتعرف إلى حقيقة الربوبية، ويدرك حقيقة عبوديته لله عز وجل.

إن ذلك يجعلنا ننتبه إلى هـذه القـاعـدة وهـي أن التربيـة الاسلامية تعتمد على قاعدة أساسية: توحيد الله ونفي الشرك، وإدراك خطورة الشرك في الدنيا على النفس والمجتمع، وفي الآخرة. ولهذا يبدأ تلقين الطفل هذه الحقيقة الكبرى، وتوسيع العقيدة في نفوس الأطفال حتى تصبح واضحة وعميقة، تلتصق بالحياة، ويعلم أن أي شذوذ عنها يعني الخيبة والهلاك في الدنيا والآخرة والاخلال بالحقائق الكونية كلها.

وهذه المهمة منوطة بالوالدين ولهذا كان من سنة رسول الله ﷺ أن يؤذن في أذن الوليد ساعة ولادته، ولهذا إيحاء بالغ بتلقينه الوحدانية وعدم الشرك.

ولا عذر للوالدين في التقصير بهذه المهمة لأن ذلك سيؤدي إلى النار والحساب الشديد ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، وقودها الناس والحجارة﴾.

وتقع المسؤولية بعد الوالدين على المدرسة، فالمعلم والمعلمة هو أب وهي أم لهذا الطفل، ومسؤوليتها كبيرة في تركيز الوحدانية وعدم الشرك في نفس الطفل.

٤ ـ عاطفة الأبوة وصلتها بالتربية:

وتدلنا الآيات الكريمة على طبيعة الصلة بين الطفل الناشىء، والوالدين المربّين، إنها علاقة الدم، والشعور والرحم، فيها

الحنو والعطف والحب والمودة والرعاية، لذا فالآية تبين لنا واجب الولد نحو والديه، واجب العناية والرعاية والطاعة والتكريم والوفاء؛ من خلال هذه الصور المؤثرة للأم التي تحمل الطفل شهوراً تسعة تصبر وتحنو، وهي ضعيفة مجهدة ترعاه رغم ذلك كله، وتعاني من الآلام ما لا حصر لها، ومع ذلك تزداد لولدها حباً وعليه خوفاً.

وإذا كانت الآية الكريمة تبين لنا ذلك الجانب، وبالتالي تثير عند الطفل مشاعر المحبة والتقدير، والعطف على الوالدة، فإنها تبين لنا أهمية العناية بتربية هذا الطفل أولاً لكي لا يضيع التعب والألم هباء، ولكي لا يعود ذلك على الأبوين بالتنكر والعقوق إذا ما تركا وليدهما للأيدي الخبيثة، ولأن من تضحي الأم في سبيله، وتعاني من أجله كل هذا العناء حقيق بأن يحاط بسور من العناية الأبوية الواعية لكي لا يلقى في نار جهنم. ومهم أن تهتم الأم كما يهتم الأب بتعهد الابن، وتربيته، وغرس العقيدة، وتقويم السلوك والتدريب على العادات الحسنة، وهذا أولى من الاهتمام بالجسد والملبس والزينة لهذا الولد.

والله عز وجل يأمر الابن أن يكون باراً بوالديه، وفياً لهما بعد هذا العناء، ولكن هذا البر يفقد قيمته إذا خرج عن إطاره الصحيح ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾ ولن تكون رعاية حقيقية، ووفاء صادقاً من الأبناء نحو الآباء إن لم تنبع من

الإيمان بالله عز وجل، والخوف من حسابه، وحباً بمرضاته وثوابه.

وهذا هو واقع العالم كله يوم تخلى الناس عن العقيدة، فانفرط عقد الأسرة، وتقطعت وشائج القربى، ولم يعد للوالدين قيمة في الحياة.

والاسلام يربط هذه الوشيجة المهمة - كما يربط غيرها - بالعقيدة، ويقدم رابطة العقيدة عليها، لأن هذه الوشائج جميعاً لا يستقيم أمرها ما لم تكن قائمة على أساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

ولأن التوجيه الإلهي الكريم يجعل عقوق الوالدين من الكبائر فلن يفرط مؤمن بحقوق والديه.

وما أكرمه عز وجل حين أمر الأبناء بمعصية آبائهم إن أمروهم بمعصية أو دعوهم للشرك في أية صورة من الصور، رحمة بالآباء أنفسهم حتى لا تصيبهم سيئات ما أمروا أبناءهم به، وإيقاظاً لهم من الضلال أو الخطأ.

إن الآيات توقظ ضمائر الأبناء والآباء معاً، وتعطي عملية التربية تلك الفاعلية اليقظة الواعية، حيث لا تترك الأبناء يتلقون بلا تعقل ولا تريدهم أن يكونوا آلات صماء للتسجيل والحفظ والترديد بدون وعي.

إنهاتغرس في نفوسهم منذ الصغر الوعي، والإدراك، والتفاعل مع ما يتلقونه.. والتفكير بما يسمعونه مهما كانت صور العطاء والتربية، ولو كانت ممتزجة بثوب عاطفي وحنو أبوي، يغري ويضلل الانسان أحياناً، وكل أمر يتلقاه الانسان ينبغي أن يستند إلى الحقائق، ويوزن بميزان عادل، والحقيقة الخالدة والميزان العادل هو وحدانية الله وعدم الشرك به، والاعتراف بهيمنته على الكون كله، ومن يجهل هذه الحقيقة، أو يعارضها لن يتعرف إلى غيرها.

فالتربية - كما يوضح منهج الله عز وجل - أمانة مفروضة على الوالدين أولاً وهي مرتبطة بالإيمان، قائمة على غرس العقيدة أيضاً، وهي عملية واعية، وليست عملية تلقين آلي، فالابن المحاط بالحب والرعاية، هو الابن البار، وهو الابن الذي يتلقى النصح والرعاية والتربية الأبوية بوعي كامل.

إنه الغرس المثمر، وإنها التربية القرآنية التي تربي رجالاً وعلماء، وأبطالاً وباحثين، وتبعد عن الانسان المكرم صورة التبعية وانعدام الشخصية، لذلك أمر الله عز وجل الابن أن يرفض كل أمر يخالف شرع الله عز وجل، ويتعارض مع قوانين الحق، ولا يرضى عنه الخالق العظيم. ولكنه مع ذلك يعلي في نفس الابن من قيم الخير والوفاء، فيدعوه للبر بالآباء في حدود الطاعة وعدم المعصية ﴿وصَاحِبْهما في الدنيا معروفاً﴾.

ثم يوجه إلى التماس المعرفة الواعية، والطريق المستقيم، ويوجه إلى البحث والتنقيب لاختيار الأصلح واتباع الحق ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ ، دون أن ينسى ارتباط البحث، والسلوك، والنتيجة بالحساب عند الله عز وجل. وهذا يربيه على صدق النية، والاستقامة في الخلق، وجدية البحث عن الحق والاخلاص في التماس الهدى والعلم ليفوز بمرضاة الله عز وجل، لأنه سبحانه خبير عليم بصير ﴿فأنبئكم بما كنتم تعلمون﴾ هل نترك الأبناء ـ بعد هذا ـ بين أيدي الشياطين، وتلاميذ الغرب لتلقينهم مناهج الغرب وتربية أعداء الله؟

وهل نبرر لأنفسنا التقصير بحق الأبناء، فنتركهم دون تربية واعية، ونتشاغل عنهم بمشاغل الدنيا من مال ومتاع؟

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، وقودها الناس والحجارة﴾ فقليلاً من التفكير بالآخرة، وقليلاً من الاهتمام بالولد، وقليلاً من مراقبة الله عز وجل لننهض بواجباتنا.

لقد أعطتنا الآيات الكريمة صورة عملية للتربية، ووضحت منهجاً عملياً للإعداد؛ فمتى ينهض بذلك الآباء، وتعود الأسرة محضناً يربي الأولاد على العقيدة، ويخرج النشء على الخير، لكي لا نتباكى على ما جرى ويجري، فنحن المسؤولون

والله عز وجل سيحاسب كل امرىء على عمله، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

٥ ـ ربط السلوك بالعقيدة:

بعد أن يغرس الأب أمر التوحيد في نفس الابن، يمضي في رسم الطريق العملي له في الحياة، والطريق العملي يبدأ من ربط السلوك بالعقيدة، وأن يبرز ظل العقيدة في كل كلمة وكل عمل.

وليس أفضل من التماس الطريق الذي يدفع الابن لاستشعار المسؤولية حتى تكون أفعاله وسلوكه نابعين من نفسه، دون أن يحتاج إلى رقيب من الناس أو موجه، وهذا يتطلب بناء الشخصية الواعية التي لا تقف عند حدود التلقي الآلي، بل لا بد من الفهم والإدراك والتفاعل، وبالتالي بروز الذاتية الواعية التي تنتقي الخير وترفض الشر، تلتزم بالحق وتحيد عن الباطل، تقبل العلم وتأبى الجهل .ولقد أوضحنا في ما سبق ذلك في قوله تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً، واتبع سبيل من أناب إلي، ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فالأمر ليس اتباعاً بلا تفكير، وإنما هو الوعي بعد الإيمان، وذات تتلقى وهي مبصرة، وتتفاعل مع ما تأخذ وهي تفكر، وتدرك وتبحث ثم

تختار، فتلتزم بالحق والوفاء والبر والصلاح بحدود الحقيقة التي لا تنقض، حقيقة الوحدانية والقدرة الإلهية، والعلم الإلهي، والحساب الإلهي، لهذا نجد الآية الكريمة التالية تغرس هذا المعنى أيضا، وتوضح هذا النهج التربوي بصورة جلية، فتأتي بهذا الأسلوب الحاني العطوف، ولكنها تحمل الحقيقة الثابتة، بالعاطفة الصادقة، وبهذا تشترك المؤثرات الفكرية والعاطفية، وتصل التربية إلى هدفها، وتبدأ بنداء الأبوة الحنونة: ﴿يا بني إنها إن تكُ مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾.

لفتة كريمة وكبيرة، تفتح بصيرة الابن الناشيء على الحقيقة والحياة، وتغرس في نفسه حب التطلع والنظر، والتفكير والبحث والاستطلاع، إنها توسع خياله لكي يجوب في خلق الله، ويدرك العلاقة الأزلية بين المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى.

إن الطفل يدرك حبة الخردل وصغرها، ويلمسها في الواقع، وكذلك يبصر السماوات والأرض، ويعلم صلابة الصخر، وصعوبة الوصول إلى داخله، كل ذلك يدفع الطفل للمقارنة بينهما، ويتخيل، ويتعرف إلى الواقع ومن وراء هذا يدرك قدرة الله، وسعة علمه، وأنه الحكيم الخبير.

الحبة الصغيرة، والصخور القاسية الصلدة، والسماء الواسعة البعيدة العجيبة، والأرض الشاسعة المتنوعة بما تحمل وما تحتوي، كل ذلك خاضع لعلم الله وقدرته وهيمنته، هي سر عظيم بالنسبة لنا، ولكنها بسيطة معلومة للخالق عز وجل، وهذه الحبة الصغيرة لا تختفي عن علم الله في ملكوته الواسع، بل يأت بها الله، لأنه عليم بصير قدير لطيف، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

هذه الآية تدعو الطفل لتملي هذه الصورة التي يلمسها بحواسه، وتدفعه للمقارنة والتخيل، والإدراك ثم الوصول إلى الحقيقة الثابتة. وبذلك تنشط ذهنه الناشيء، وفكره الدارج، وتربط بين ملكوت الله وبين علمه البسيط، فيحس بالأنس بين الكون وبينه، وبين الله عز وجل وهذا الكون المكشوف لله عز وجل. إنها أمور تتعلق بالعقيدة، وهي من واقع الحياة لأنها مرتبطة بخالق الكون، فهي من ثمرات الإيمان.

وهي تربي النفس الواعية الباحثة الطائعة لربها عز وجل، وتغرس في النفس مخافة الله، والتقوى الحقيقية التي تقوم على دعائم اليقين والتبصر والطمأنينة.

وكذلك تقوّم السلوك عند الطفل حتى يغدو أمراً ذاتياً ينبثق من أعماق النفس المؤمنة، ويندمج فيها، ويصبح شيئاً

منها، لا أمراً خارجاً عنها.

وإن ربط العمل الإنساني بعلم الله ومراقبته وتقواه أمر مهم، إنه أساسي في استقامة السلوك، وحسن الخلق، واستمرار الصلاح، والابتعاد عن الزيغ والضلال.

كل شيء في الأرض والسماء لا يخرج من علم الله وقدره.

وكل عمل للإنسان خاضع للحساب والعلم والقدرة أيضاً.

وهذا كله مرتبط بالوحدانية والهيمنة المطلقة لله عز وجل على الكون والخلق أجمعين، فالأمر حقائق تتحول في النفس إلى عقيدة، وفي الجوارح إلى سلوك وعمل.

ثم تمضي الآيات الكريمة في ترتيب مقصود توجه الطفل الناشىء وهو في محضن الأسرة المؤمنة عبر توجيهات أبوية حانية، تعرف أنها مسؤولة أمام الله سبحانه، وتنطلق من واجبها نحو الأبناء.

فإذا كان الأمر الأول والأهم هو غرس العقيدة، ضمن وعي حقيقي، وذاتية متفاعلة مدركة، فإن الأمر الثاني هو أمر السلوك، وأول السلوك طاعة، لأن الطاعة ثمرة حقيقية لنجاح الغرس الأول في النفس.

فإذا بلغ الغرس ذلك العمق المطلوب، وإذا أحيط بالمناخ الضروري أثمر ثمار الطاعة.

وأي أمر في سلوك الإنسان أهم وأولى من سلوك الطاعة متمثلاً بالعبادة المخلصة لله عز وجل ﴿يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾.

كل شيء من سلوك الإنسان أقل أهمية من سلوك العبادة وإقامة الصلاة، والإقامة بناء أيضاً، تحتاج إلى اهتمام وإدراك، والإقامة جهد وعمل وليس أمر عادة وتقليد وكفى كما يفعل الكثيرون، لأن الصلاة تقيم بناء الشخصية، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتهذب روح الإنسان وأخلاقه. والصلاة تبني المجتمعات بأسرها إذا كانت بناءً ﴿أقم الصلاة﴾ ولم تكن أداء آلياً خالياً من الوعي والتدبر.

وأداء الصلاة هو ربط للحقيقة الأولى بواقع الطفل الذي أدركها، وتعبير عن يقينه بها، فهي تربية عملية، لذلك فليس هناك علم أولى من هذا العلم، وليس هناك سلوك تربوي أهم من هذا السلوك التطبيقي.

أما الذين يتركون ذلك جانباً، ويهتمون بتلقين الطفل مبادىء الحساب والجغرافيا والأشياء فإنهم جاهلون، يبعدون الطفل بدون قصد عن منهج الله الذي يربط فيه بين ما يرى وبين قدرة الله ووحدانيته وطاعته. وفي تجاهلهم لهذه الحقيقة،

واتباعهم للمناهج التي رسمت طبقاً للنظريات المادية الغربية رفض لمنهج الله، ورفض للعلم الحقيقي، وبعد عن بناء الشخصية العابدة التي تربط بين العلم وبين مفهوم العبادة لله عز وجل. والذي تعامى عن فهم حقيقة الوحدانية والايمان في نفسه وسلوكه لا يمكن أن يسلك سبيل المؤمنين بالتربية، ولن يفلح في التماس غيره من الطرق مهما بدت له المظاهر براقة والنتائج عظيمة.

وبعد الصلاة التي يدركها الطفل كعبادة وسلوك تبدأ الذات بالعطاء، بعد تربيتها الواعية، وإحياء عناصر الخير فيها، ووضعها أمام الحياة لتواجه بالتجربة صعاباً فتدرك أنه لا بد من المجاهدة، فتبدأ بالمشاركة العملية، التي تؤثر في التربية أكثر من وسيلة التلقين مهما كانت مؤثرة.

ولأن تُشرك طفلاً في حل مسألة أو صنع آلة، أو اكتشاف حقيقة أجدى وأهم وأفضل من أن تعطيه أي شيء أو تلقنه أي حقيقة. ولذا يوجهه سبحانه وتعالى من خلال الخطاب الأبوي الحاني للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يحتاج من الطفل إلى تفكير وبحث ومعرفة وملاحظة ووعي. وتشترك في ذلك حواسه كلها ليتغلب على ما يبدو له من صعاب. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستدعي معرفة الخير والحق، ومعرفة الشر والباطل لكي لا يضل في هديه للناس، وهذه هي

الذاتية الداعية التي يربى عليها الطفل، التي تتفاعل مع الحياة، وتبقى تتعلم وتبحث وتدرك وتجرب وتبني، وهي تربية للطفل ليكون الباحث المؤمن المبصر الحر. وكذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الصبر لأنه يواجه الصعاب، والصبر يبدو في البحث والمعرفة، ويبدو في العمل، ويبدو في احتمال الأذى، والوقوف عند حدود الله، والصبر على الطاعة والصبر على المغريات، والصبر على مواجهة الحياة مواجهة عملية وهي من عزم الأمور.

إنها تربي الرجولة المؤمنة، التي تعطي، وتثمر، تتعلم، وتعلم، تبحث وتجرب، تثق بربها، وتثق بما تعمل، وتسعى للخير، وتستعلي على الصعاب والمغريات.

تلك هي التربية العملية الواعية التي تقوم على الحقائق، وتتبع الخطوات المتتالية، وتلتمس الحق في كل خطوة، وتتعرف إلى حقائق الفطرة البشرية، وحقيقة الكون وحقيقة الألوهية المهيمنة.

ثم ينتقل هذا المنهج القرآني إلى غرس الفضائل، ورسم طريق واضح للسلوك الاجتماعي الذي يمنح الشخصية طابع التوازن والاعتدال، مع الثقة والتواضع، والأدب والكرامة والترفع عن الحيوانية في أي مظهر وأية صورة ﴿ولا تصعر

خدك للناس، ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾.

ولكي يكون الإنسان المؤمن منسجماً مع إيمانه، محبوباً من إخوانه مؤثراً في أقرانه؛ عليه أن يبتعد عن التكبر والتغطرس، لأنه لا يمكن أن يصح إيمان مع التكبر والغطرسة، لأن الخلق كلهم عيال الله، وأقربهم إلى الله أحبهم لعباده، ولهذا كان خلق التواضع والاعتدال مما نص عليه هذا المنهج التربوي لينشأ الطفل بعيداً عن الخلق الذميم، ويتمسك بما يجعله محبوباً يأسر القلوب ويستهوي النفوس، فتأنس له، وتصغي له، وتود له الخير.

وإن هذا السلوك ضروري لضمان العطاء، واستمرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقويم الاعوجاج.

وفي كل أمر يرتبط هذا المنهج ـ نظرياً وعملياً ـ بالتزام طاعة الله، ويكون هذا بعد غرس العقيدة في النفس وتربية الناشىء عليها.

إن هذه الآيات الكريمة وغيرها ترسم لنا منهجاً تربوياً قميناً بأن يربي أبناءنا تربية إسلامية صحيحة، تربية واعية، فيها الحق والعلم والأدب، فيها الوعي والتفتح والنظر والتفكير،

فيها الفهم والتطبيق. وهذه الآيات تحثنا على إعطاء التربية دوراً واهتماماً ضمن هذه الخطوات والأسس، وفي هـذا الأسلـوب الواعي الهادىء الحاني، لنقي أنفسنا وأولادنا نار الجحيم.

فهل ننهض بواجبنا، ونراجع مناهجنا، وننظر هل قمنا بما علينا في الوقت الذي تتألب قوى البـاطـل علينـا، وتغـزو بيوتنا، وتنتزع منا فلذة أكبادنا باسم العلم والتربية والثقافة؟!

وهل ينهض الآباء بمسؤوليتهم فيغرسون: بالقدوة الحسنة، والموعظة الرشيدة، والتربية العملية أسس العقيـدة، وحقـائـق الحياة وأكرم الخصال، وحب المعرفة، وبذور البحث والتطلع، ودروس الدعوة والعطاء؟

إنها مسؤولية، والمسؤولية عظيمة.

وليست صور المجتمع إلا نتاج قصورنا في إدراك واجبنا، فلننهض لنصون أفلاذ الأكباد من أخطار الضياع.

★ ★ ★

● ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب والحمدلله رب العالمين.

★ ★ ★

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
مقدمة المؤلف	٥
تمهيد	٧
ضرورة الوعي	١٠
مع الواقع	١٦
خطوات الطريق	٢٨
المعوِّمات ومراحل الاعداد	٣٦
ـ مرحلة ما قبل الزواج	٣٩
ـ مرحلة ما بعد الزواج	٤٦
شروط منهج التربية وعناصره الأساسية	٦٠
الالتزام في السلوك	٧٤
لا بدَّ من العزيمة الصادقة	٨٢
النماذج التطبيقية	٨٧
النساء والخيار الصعب	٨٩
المرأة وصورة من الأمس	١١٥
تربية الأطفال ونموذج قرآني	١٢٧
الفهرس	١٤٩
كتب للمؤلف	١٥١

كتب للمؤلف

١ ـ مصعب بن عمير « الداعية المجاهد »	الطبعة الرابعة
٢ ـ ابو بصير « قمة في في العزة الاسلامية »	الطبعة الخامسة
٣ ـ ظاهرة الردة في المجتمع الاسلامي الأول	الطبعة الثالثة
٤ ـ خالد بن سعيد بن العاص « الصحابي المجاهد »	الطبعة الأولى
٥ ـ المرأة المسلمة الداعية	الطبعة الرابعة
٦ ـ نسيبة بنت كعب « أم عمارة »	الطبعة الثانية
٧ ـ ديوان هاشم الرفاعي « جمع وتحقيق »	الطبعة الأولى
٨ ـ في الأدب الاسلامي المعاصر	الطبعة الأولى -
٩ ـ ذات النطاقين « جزءان »	